حياكة الكلام



اللهفة والصدفة والخيال في كتابَي الفرج بعد الشدّة ونشوار المحاضرة

للقاضي أبي عليّ المحسّن بن عليّ التنوخي (ت ٣٨٤هـ)

اختيار: بلال الأرفه لي * إيناس خنسه

تصوير: جنى طرابلسي

المكتبة العربية للناشئة



اللهفة والصدفة والخيال في كتابَي
الفرج بعد الشدّة ونشوار المحاضرة

للقاضي أبي عليّ المحسّن بن عليّ التنوخي (ت ٣٨٤ هـ)



هاتف: 5161 628 2 971+

أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة



مكتبة الجامعة
THE UNIVERSITY BOOKSHOP

هاتف: 0446 441 2 971+

البريد الإلكتروني: info@univbookshop.com

أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة

تمت الموافقة على الطباعة من المجلس الوطني للإعلام بإذن طباعة رقم : MC-10-01-5012538

تمت الطباعة في مسار للطباعة والتوزيع، دبي



اللهفة والصدفة والخيال في كتابَي
الفرج بعد الشدّة ونشوار المحاضرة

للقاضي أبي عليّ المحسّن بن عليّ التنوخي (ت ٣٨٤ هـ)

اختيار

بلال الأرفه لي ❁ إيناس خنسه

تصوير

جنى طرابلسي

تصميم وإخراج

نهاد تيسير ندم

المحرّر العامّ

فيليب كينيدي

المحتويات

المحور الثالث
لقاءات وأقنعة وأدوار متغيّرة

مقدّمة

يومًا بعد يوم نتأكّد من أنّ الحوار مع «نصوص» التراث لن ينقطع، ولن ينتهي. تلك النصوص، بكافة أجناسها، كُتبت لقرّاء عصرها، أي لذائقة غير ذائقتنا، جماليًّا وتاريخيًّا، فكيف لذائقتنا المعاصرة الآن أن تتعامل مع سياقاتها، وحالاتها الخاصّة، وقيمها، وخصوصيّة مرحلتها؟ أسئلة تترافق مع المختارات التي انتقيناها من كتابَي الأديب القاضي أبي عليّ المحسّن التنوخي (تـ. ٣٨٤/٩٤٤) الفرج بعد الشدّة ونشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة.

الكتاب الأوّل الفرج بعد الشدّة، جاءت فصوله مرتّبة بحسب الموضوعات، ويضمّ قصصًا اختارها المؤلِّف معبّرة عن العنوان نفسه، ولكنّ التنوخي لم يكن أوّل من عالج هذا الموضوع في هيئة كتاب، فما نعرفه حتّى الآن هو أنّ أوّل مؤلَّف يندرج في إطار هذا النوع الأدبيّ هو كتاب الفرج بعد الشدّة لابن أبي الدنيا (تـ. ٢٨١/٨٩٤) الذي صنّفه كاتبه قبل التنوخي بقرن من الزمن. أمّا الكتاب الثاني نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، فهو مجموعة من الحكايات والنوادر تدور حول كبار موظّفي الدولة، ويخبرنا التنوخي أنّه دوّنها من روايات شفوية رواها له رجال من معاصريه. والكتاب الأصلي يتألّف من أحد عشر فصلاً، لم يصلنا منها سوى أربعة فصول.

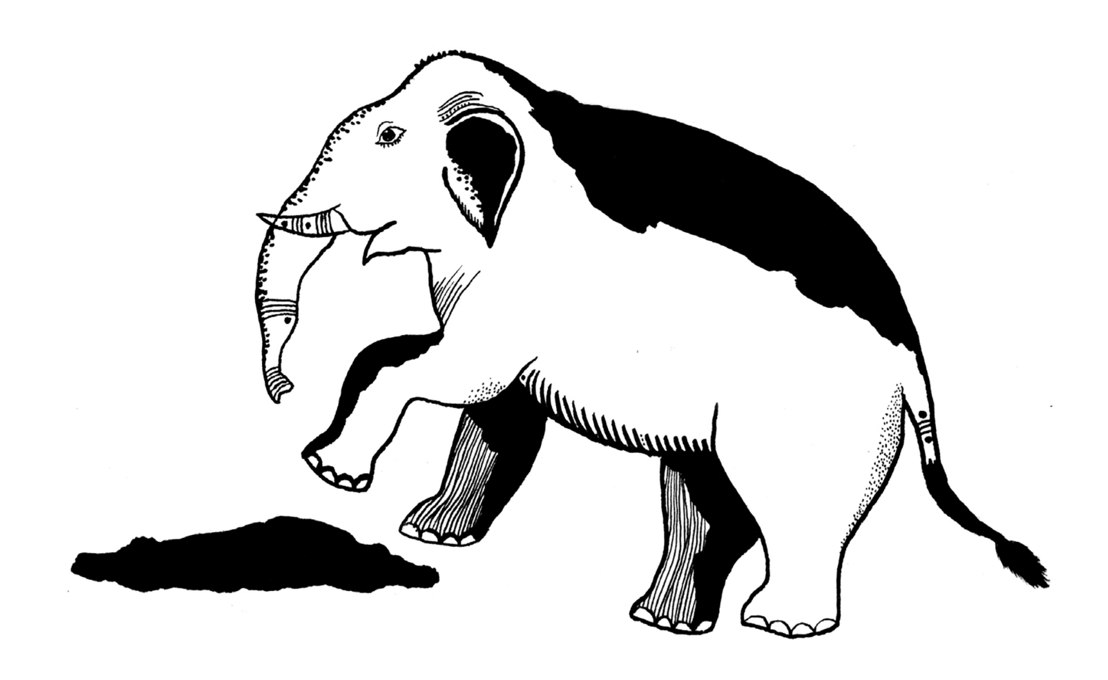
القصص التي اخترناها لمجموعة حياكة الكلام، تتناول محاور ثلاثة، نكسر من خلالها الاتّكاء المعتاد على الحبكة والشخصيّات، ونسلّط الضوء على العلاقات المتنوّعة التي توحي بها هذه القصص، وعلى الإمكانات الإبداعية التي تجعلها ممكنة. ففي المحور الأوّل، اخترنا قصصًا عن الترحال، ترسم أطرًا مطواعة للتفاعل مع الحالات التي تقدّمها، كالكشف والوعد والتنقّل بين عوالم البلاغة وجغرافيّة المتخيّل. وفي المحور الثاني، اخترنا قصصًا تدعونا لنقطنها، ومن هنا صنّفناها تحت عنوان «فضاءات متشابكة»، حيث تأسرنا فيها عناصر سرديّة تتجسّد في مفاهيم مادّيّة، كالصوت والحجر والقدر. أمّا في المحور الثالث، فقد سلّطنا الضوء على حالة السيولة التي تكتسبها الشخصيات في تبنّيها أشكالاً وأقنعة متغيّرة.

رغبتنا في أن نختار من المختارات الكلاسيكية، لها بعدان: الأوّل نابع من نزعة لمشاركة العوالم التي نعشقها في عملنا كأكاديميّين، والثاني نابع من احترامنا لغنى التراث الأدبيّ العربيّ الذي نرجو أن يبقى في إطار وعينا الثقافي وجزءًا من هويّتنا المعرفيّة.

نودّ أن نشكر مركز الفنون والآداب في الجامعة الأميركيّة في بيروت ممثّلاً بمديره الدكتور عبد الرحيم أبو حسين لدعمه هذا العمل في بداياته. ونخصّ بالشكر أيضًا الدكتور فيليب كينيدي لإيمانه بفكرة المشروع وإدراجه إيّاه ضمن المكتبة العربيّة في جامعة نيويورك-أبوظبي.

المحور الأوّل

ترحال:
الكشف والوعد والمنام



آلى على نفسه أن لا يأكل لحم فيل أبدًا

حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمّد الشاهد المعروف بابن الطبري قال حدّثنا جعفر بن محمّد الخلدي الصوفي قال حدّثنا إبراهيم الخوّاصّ الصّوفي رحمه الله تعالى قال: ركبت البحر مع جماعة من الصوفيّة فكُسر بنا المركب فنجا منّا قوم على لوح من خشب المركب. فوقفنا على ساحل لا ندري في أيّ مكان هو فأقمنا فيه أيّامًا لا نجد ما نقتاته فأحسسنا بالموت وأيقنّا بتلفنا من الجوع لا محالة.

فقال بعضنا لبعض: تعالوا نجعل لله تعالى على أنفسنا أن ندع له شيئا فلعلّه أن يرحمنا فيخلّصنا من هذه الشدّة.

فقال بعضنا: أصوم الدهر كلّه.

وقال الآخر: أصلّي كلّ يوم كذا وكذا ركعة.

وقال بعضنا: أدع لذّات الدّنيا، إلى أن قال كلّ واحد منهم شيئًا وأنا ساكت.

فقالوا: قل أنت الآخر شيئًا.

فلم يجر على لساني إلّا أن قلت: أنا لا آكل لحم فيل أبدًا.

فقالوا: ما هذا القول في مثل هذا الحال؟

فقلت: والله لم أتعمّد هذا ولكنّي منذ بدأتم فعاهدتم الله تعالى عليه وأنا أعرض على نفسي أشياء كثيرة فلا تطاوعني بتركها ولا خطر ببالي شيء أدعه لله تعالى ولا مرّ على قلبي غير الذي لفظت به وما أُجري هذا على لساني إلّا لأمر.

فلمّا كان بعد ساعة قال أحدنا: لِمَ لا نطوف هذه الأرض متفرّقين فنطلب قوتًا فمن وجد شيئا أنذر به الباقين والموعد هذه الشجرة.

قال: فتفرّقنا في الطواف فوقع بعضنا على ولد فيل صغير فلوّح بعضنا لبعض فاجتمعنا فأخذه أصحابنا واحتالوا فيه حتّى شووه وقعدوا يأكلون.

فقالوا لي: تقدّم وكل معنا.

فقلت: أنتم تعلمون أنّي منذ ساعة تركته لله عزّ وجلّ وما كنت لأرجع فيه ولعلّ ذلك قد جرى على لساني من ذكري له هو سبب موتي من بينكم لأنّي ما أكلت شيئا منذ أيّام ولا أطمع في شيء آخر ولا يراني الله عزّ وجلّ أنقض عهده ولو متّ جوعًا، فاعتزلتهم وأكل أصحابي.

وأقبل الليل فأويت إلى أصل شجرة كنت أبيت عندها وتفرّق أصحابي للنوم. فلم يكن إلّا لحظة وإذا بفيل عظيم قد أقبل وهو ينعر والصحراء تتدكدك بنعيره وشدّة سعيه وهو يطلبنا.

فقال بعضنا لبعض: قد حضر الأجل فتشهّدوا فأخذنا في الاستغفار والتسبيح وطرح القوم نفوسهم على وجوههم.

فجعل الفيل يقصد واحدًا واحدًا منهم فيتشمّمه من أوّل جسده إلى آخره، فإذا لم يبق منه موضعًا إلّا شمّه شال إحدى قوائمه فوضعها عليه ففسخه. فإذا علم أنّه قد تلف قصد إلى آخر ففعل به مثل فعله بالأوّل إلى أن لم يبق غيري وأنا جالس منتصب أشاهد ما جرى وأستغفر الله عزّ وجلّ وأسبّح. فقصدني الفيل فحين قرب منّي رميت بنفسي على ظهري ففعل بي من الشمّ كما فعل بأصحابي ثمّ عاد فشمّني دفعتين أو ثلاثًا ولم يكن فعل ذلك بأحد منهم غيري وروحي في خلال ذلك تكاد تخرج فزعًا، ثمّ لفّ خرطومه عليّ وشالني في الهواء فظننته يريد قتلي فجهرت بالاستغفار، ثمّ لفّني بخرطومه فجعلني فوق

ظهره فانتصبت جالسًا واجتهدت في حفظ نفسي بموضعي. وانطلق الفيل يهرول تارة ويسعى تارة وأنا تارة أحمد الله تعالى على تأخير الأجل وأطمع في الحياة وتارة أتوقّع أن يثور بي فيقتلني فأعاود الاستغفار وأنا أقاسي في خلال ذلك من الألم والجزع لشدّة سرعة سعي الفيل أمرًا عظيمًا. فلم أزل على ذلك إلى أن طلع الفجر وانتشر ضوؤه فإذا به قد لفّ خرطومه عليّ.

فقلت: قد دنا الأجل وحضر الموت وأكثرت من الاستغفار.

فإذا به قد أنزلني عن ظهره برفق وتركني على الأرض ورجع إلى الطريق التي جاء منها وأنا لا أصدّق. فلمّا غاب عنّي حتّى لا أسمع له حسًّا خررت ساجدًا لله تعالى فما رفعت رأسي حتّى أحسست بالشمس، فإذا أنا على محجّة عظيمة فمشيت نحو فرسخين فانتهيت إلى بلد كبير فدخلته، فعجب أهله منّي، وسألوني عن قصّتي فأخبرتهم بها فزعموا أنّ الفيل قد سار بي في تلك الليلة مسيرة أيّام واستطرفوا سلامتي، فأقمت عندهم حتّى صلحت من تلك الشدّة الّتي قاسيتها وتندّى بدني ثمّ سرت عنهم مع التجّار فركبت في مركب ورزقني الله السلامة إلى أن عدت إلى بلدي.

الفرج بعد الشدّة، ٤/١٢٩ – ١٣٢.



زوّر منامًا فجاء مطابقًا للحقيقة

قال رجل من شيوخ الكتّاب يُقال له عبّاد بن الحرّيش: صحبت عليّ بن المرزبان وهو يتقلّد شيراز من قِبل عمرو بن اللّيث الصفّار فصادر المتصرّفين على أموال، ألزمهم إيّاها، فكنت ممّن أخذ خطّه عن العمل الذي تولّيته بثمانين ألف درهم فأدّيت منها أربعين ألفًا ودرجت حالي حتّى لم يبق لي شيء في الدنيا غير داري التي أسكنها ولا قدر لثمنها فيما بقي عليّ فلم أدر ما أصنع. وفكّرت فوجدت عليّ بن المرزبان رجلاً حرًّا سليم الصّدر فرويت له رؤيا أجمعت على أن ألقاه بها وأجعلها سببا لشكوى حالي إليه والتوصّل إلى الخلاص وكنت قد حفظت الرّؤيا. فاحتلت خمسين درهمًا وبكرت إليه قبل طلوع الفجر فدققت بابه.

فقال حاجبه مِن خلف الباب: من أنت؟

فقلت: عبّاد بن الحرّيش.

فقال: في هذا الوقت؟

قلت: مهمّ، ففتح الباب.

فشكوت إليه حالي وقلت هذه خمسون درهمًا لا أملك غيرها، خذها وأدخلني عليه قبل أن يتكاثر الناس عليه.

فدخل فاستأذن لي وتلطّف إلى أن أوصلني إليه وهو يستاك.

فقال: ما جاء بك في هذا الوقت؟

فدعوت له، وقلت: بشارة رأيتها البارحة.

فقال: ما هي؟

فقلت: رأيتك في النّوم كأنّك تجيء إلى شيراز من حضرة الأمير وتحتك فرس أشهب عال لم ترعيني قطّ أحسن منه وعليك السواد وقلنسوة الأمير وفي يدك خاتمه وحولك مائة ألف إنسان ما بين فارس وراجل وقد تلقّوك وأنا فيهم إلى العقبة الفلانيّة وقد لقيك أمير البلد فترجّل لك وأنت تجوز وطريقك كلّه أخضر مزهر بالنور والنّاس يقولون إنّ الأمير قد استخلفك على جميع أمره.

فقال: خيرًا رأيت وخيرًا يكون، فما تريد؟ فشكوت إليه حالي وذكرت له أمري.

فقال: أنظر لك بعشرين ألف وتؤدّي عشرين ألف درهم.

فحلفت له بأيمان البيعة أنّه لم يبق لي إلّا مسكني وثمنه شيء يسير، وبكيت وقبّلت يده واضطربت بحضرته فرحمني وكتب إلى الديوان بإسقاط ما عليّ وانصرفت.

فلم تمض إلّا شهور، حتّى كتب عمرو بن اللّيث إلى عليّ بن المرزبان يستدعيه ويأمره بحمل ما اجتمع له من المال صحبته. وكان قد جمع من الأموال ما لم يسمع أنّه اجتمع قطّ لأحد من مال فارس مبلغه ستّون ألف ألف فحملها معه إلى نيسابور وخرج عمرو فتلقّاه وجميع قواده، فأعظم الأموال واستخلفه على فارس وأعمالها حربًا وخراجًا وخلع عليه سوادًا وحمله على فرس أشهب عال ودفع إليه خاتمه وردّه إلى فارس. فوافى في وقت الربيع ولم يحل الحول على رؤياي وخرج أمير البلد يستقبله على ثلاثين فرسخًا وخرجت فلقيته على العقبة التي ذكرتها في المنام الموضوع والدنيا على الحقيقة خضراء بأنوار الربيع وحوله أكثر من مائة ألف فارس وراجل وعليه قلنسوة عمرو بن الليث وفي يده خاتمه وعليه السواد فدعوت له. فلمّا رآني تبسّم وأخذ بيدي وأحفى بي السؤال ثمّ فرّق الجيش بيننا فلحقته إلى داره فلم أستطع القرب منه لكثرة الدوابّ فانصرفت وباكرته في السحر.

فقال لي الحاجب: من أنت؟

فقلت: عبّاد بن الحرّيش، فأدخلني عليه وهو يستاك.

فضحك إليّ، وقال: قد صحّت رؤياك.

فقلت: الحمد لله.

فقال: لا تبرح من الدار حتّى أنظر في أمرك.

وكان بارًّا بأهله، ورسمه إذا ولي عملاً أن لا ينظر في شيء من أمر نفسه حتّى ينظر في أمر أهله فيصرف من صلح منهم للتصرّف، فإذا فرغ عدل إلى الأخصّ فالأخصّ من حاشيته، فإذا فرغ من ذلك نظر في أمر نفسه.

فجلست في الدار إلى العصر وهو ينظر في أمر أهله والتوقيعات تخرج بالصلات والأرزاق وكتب التقليدات إلى أن صاح الحاجب: عبّاد بن الحرّيش، فقمت إليه فأدخلني عليه.

فقال: إنّي ما نظرت في أمر أحد غير أهلي فلمّا فرغت منهم بدأت بك قبل النّاس كلّهم فاحتكم ما تريد؟ فقلت: تردّ عليّ ما أخذت منّي وتولّيني العمل الذي كان بيدي.

فوقّع لي بذلك، وقال: امض، فقد أوغرت لك العمل فخذ ارتفاعه كلّه.

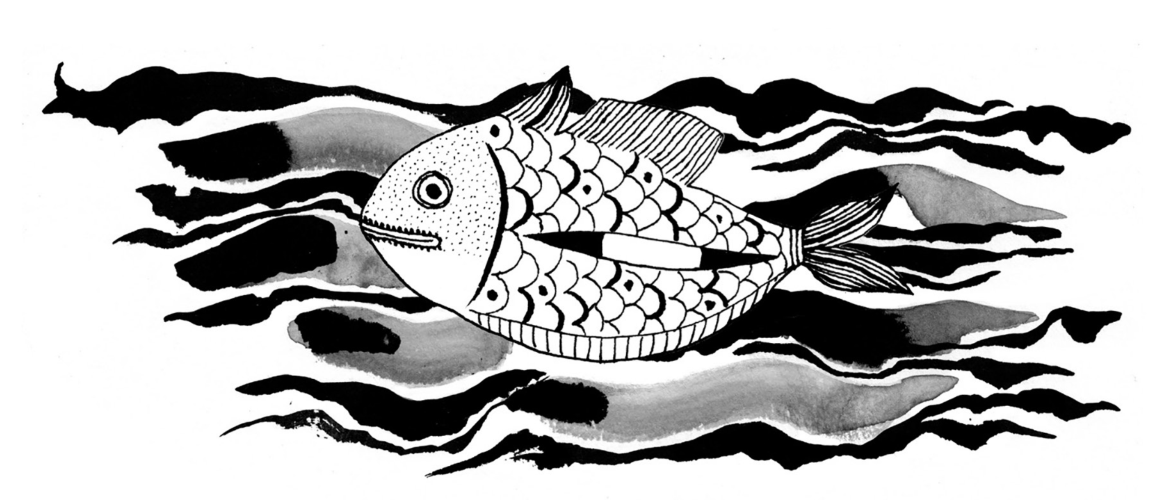
فكان يستدعيني كلّ مدّة ولا يأخذ منّي شيئًا وإنّما يكتب لي روزات من مال العمل ويصلح لي حسبانات يخلّدها الديوان فأرجع إلى العمل.

فكنت على ذلك إلى أن زالت أيّامه، فرجعت إلى شيراز وقد اجتمع لي مال عظيم، صودرت على بعضه، وجلست في بيتي وعقدت نعمة ضخمة ولم أتصرّف إلى الآن.

الفرج بعد الشدّة، ٣/٢٨–٣١.

أصلح بين متخاصمين بدرهم فوهب اللّه له درّة بمائة وعشرين ألفًا

قال وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه بإسناد قال حدّث محمّد بن إبراهيم بن عمر البرقي قال حدّثنا العبّاس بن محمّد البرقي قال حدّثنا أبو زيد عن الفضيل بن عياض قال: حدّثني رجل أنّ رجلا خرج بغزل فباعه بدرهم ليشتري به دقيقا فمرّ على رجلين كلّ واحد منهما آخذ برأس صاحبه.



فقال: ما هذا؟

فقيل: يقتتلان في درهم، فأعطاهما ذلك الدرهم وليس له شيء غيره.

فأتى إلى امرأته فأخبرها بما جرى له فجمعت له أشياء من البيت فذهب ليبيعها فكسدت عليه فمرّ على رجل ومعه سمكة قد أروحت.

فقال له: إنّ معك شيئًا قد كسد ومعي شيء قد كسد فهل لك أن تبيعني هذا بهذا؟ فباعه.

وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت وقال لزوجته: قومي فأصلحي أمر هذه السمكة فقد هلكنا من الجوع.

فقامت المرأة تصلحها فشقّت جوف السمكة فإذا هي بلؤلؤة قد خرجت من جوفها.

فقالت المرأة: يا سيّدي قد خرج من جوف السمكة شيء أصغر من بيض الدجاج وهو يقارب بيض الحمام.

فقال: أريني فنظر إلى شيء ما رأى في عمره مثله فطار عقله وحار لبّه.

فقال لزوجته: هذه أظنّها لؤلؤة.

فقالت: أتعرف قدر اللؤلؤة؟

قال: لا، ولكنّي أعرف من يعرف ذلك، ثمّ أخذها وانطلق بها إلى أصحاب اللؤلؤ، إلى صديق له جوهريّ فسلّم عليه فردّ عليه السلام وجلس إلى جانبه يتحدّث وأخرج تلك البيضة.

وقال: انظر كم قيمة هذه؟

قال: فنظر زمانًا طويلاً ثم قال: لك بها عليّ أربعون ألفًا، فإن شئت أقبضتك المال الساعة، وإن طلبت الزيادة فاذهب بها إلى فلان فإنّه أثمن بها لك منّي.

فذهب بها إليه فنظر إليها واستحسنها وقال: لك بها عليّ ثمانون ألفا وإن شئت الزيادة فاذهب بها إلى فلان فإنّي أراه أثمن بها لك منّي.

فذهب بها إليه، فقال: لك بها عليّ مائة وعشرون ألفًا ولا أرى أحدًا يزيدك فوق ذلك شيئًا.

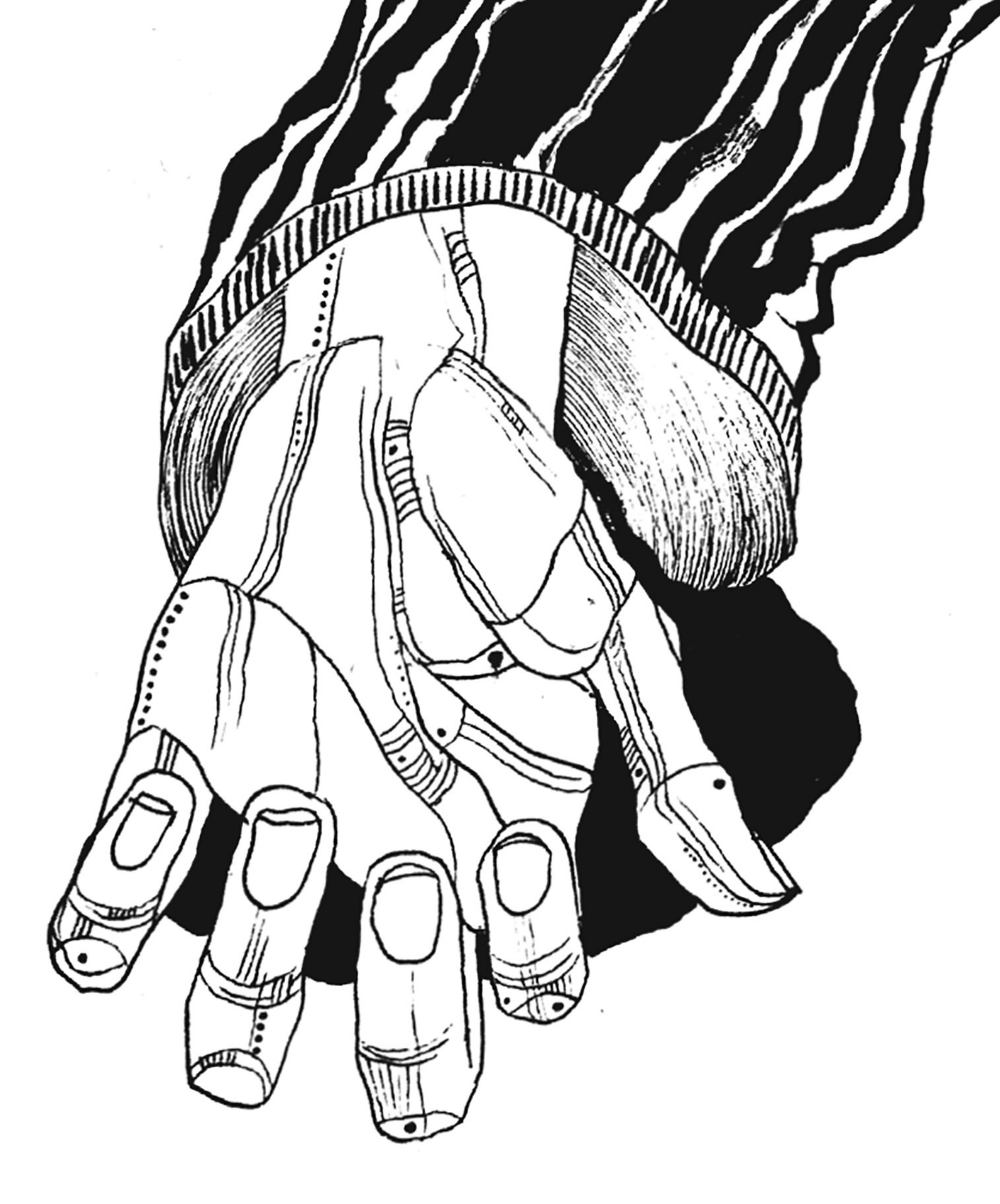
فقال: نعم، فوزن له المال فحمل الرجل في ذلك اليوم اثنتي عشرة بدرة في كلّ بدرة عشرة آلاف درهم فذهب بها إلى منزله ليضعها فيه، فإذا فقير واقف بالباب يسأل.

فقال: هذه قصّتي التي كنت عليها ادخل فدخل الرجل.

فقال: خذ نصف هذا المال فأخذ الرجل الفقير ستّ بدر فحملها ثمّ تباعد غير بعيد ورجع إليه.

وقال: ما أنا بمسكين ولا فقير وإنّما أرسلني إليك ربّك عزّ وجلّ الذي أعطاك بالدرهم عشرين قيراطًا، فهذا الذي أعطاك قيراط منه وذخر لك تسعة عشر قيراطًا.

الفرج بعد الشدّة، ٣/ ٢٣٨-٢٤٠.



أسود راجل رزقه عشرون درهمًا بزّ في

كرم معن بن زائدة الشيباني

أخبرني أبو الفرج عليّ بن الحسين القرشي قال أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرنا محمّد بن نعيم البلخي أبو يونس قال: حدّثني مروان بن أبي حفصة وكان لي صديقًا قال: كان المنصور قد طلب معن بن زائدة الشيباني طلبًا شديدًا وجعل فيه مالاً. فحدّثني معن باليمن أنّه اضطرّ لشدّة الطلب أن قام في الشمس حتّى لوّحت وجهه وخفّف من عارضيه ولحيته ولبس جبّة صوف غليظة وركب جملاً من جمال النقّالة وخرج عليه ليمضي إلى البادية وقد كان أبلى في الحرب بين يدي ابن هبيرة بلاءً حسنًا فغاظ المنصور وجدّ في طلبه.

قال معن: فلمّا خرجت من باب حرب تبعني أسود متقلّدًا سيفًا حتّى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه وقبض عليّ.

فقلت: مالك؟

فقال: أنت طِلبة أمير المؤمنين.

فقلت: ومن أنا حتّى يطلبني أمير المؤمنين.

قال: أنت معن بن زائدة.

فقلت: يا هذا اتّق الله وأين أنا من معن بن زائدة.

فقال: دع عنك هذا فأنا والله أعرف بك منك.

فقلت له: فإن كانت القصّة كما تقول فهذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذل المنصور لمن جاء بي فخذه ولا تسفك دمي.

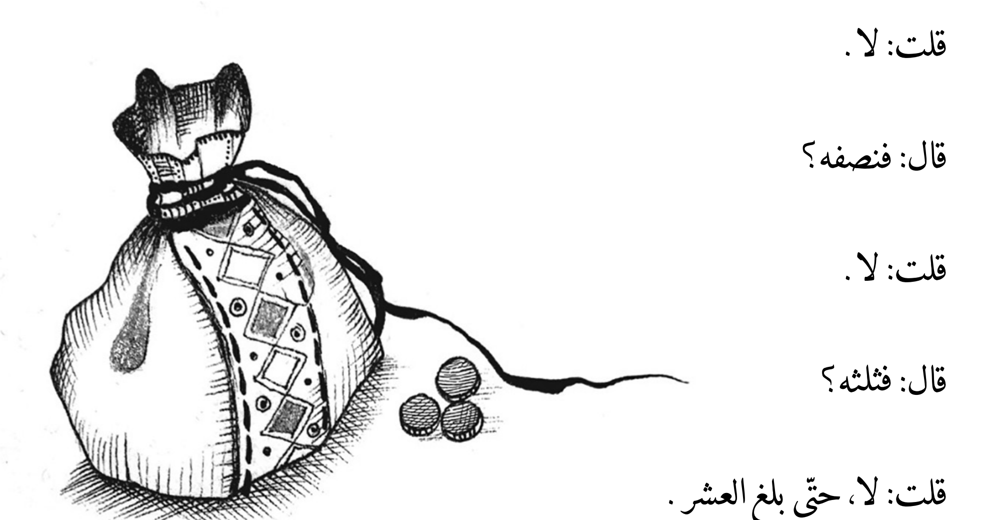
فقال: هاته، فأخرجته إليه.

فنظر إليه ساعة وقال: صدقت في قيمته ولست قابله حتّى أسألك عن شيء فإن صدقتني أطلقتك.

فقلت: قل.

قال: إن النّاس قد وصفوك بالجود، فأخبرني هل وهبت قطّ مالك كله؟

قلت: لا.



قال: فنصفه؟

قلت: لا.

قال: فثلثه؟

قلت: لا، حتّى بلغ العشر.

فاستحييت، فقلت: أظنّ أنّي قد فعلت ذلك.

قال: ما أراك فعلته وأنا والله راجل ورزقي مع أبي جعفر عشرون درهمًا وهذا الجوهر قيمته آلاف دنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس، ولتعلم أنّ في الدنيا أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحقّر بعدها كلّ شيء تعمله ولا تتوقّف عن مكرمة ثمّ رمى العقد في حجري وخلّى خطام البعير وانصرف.

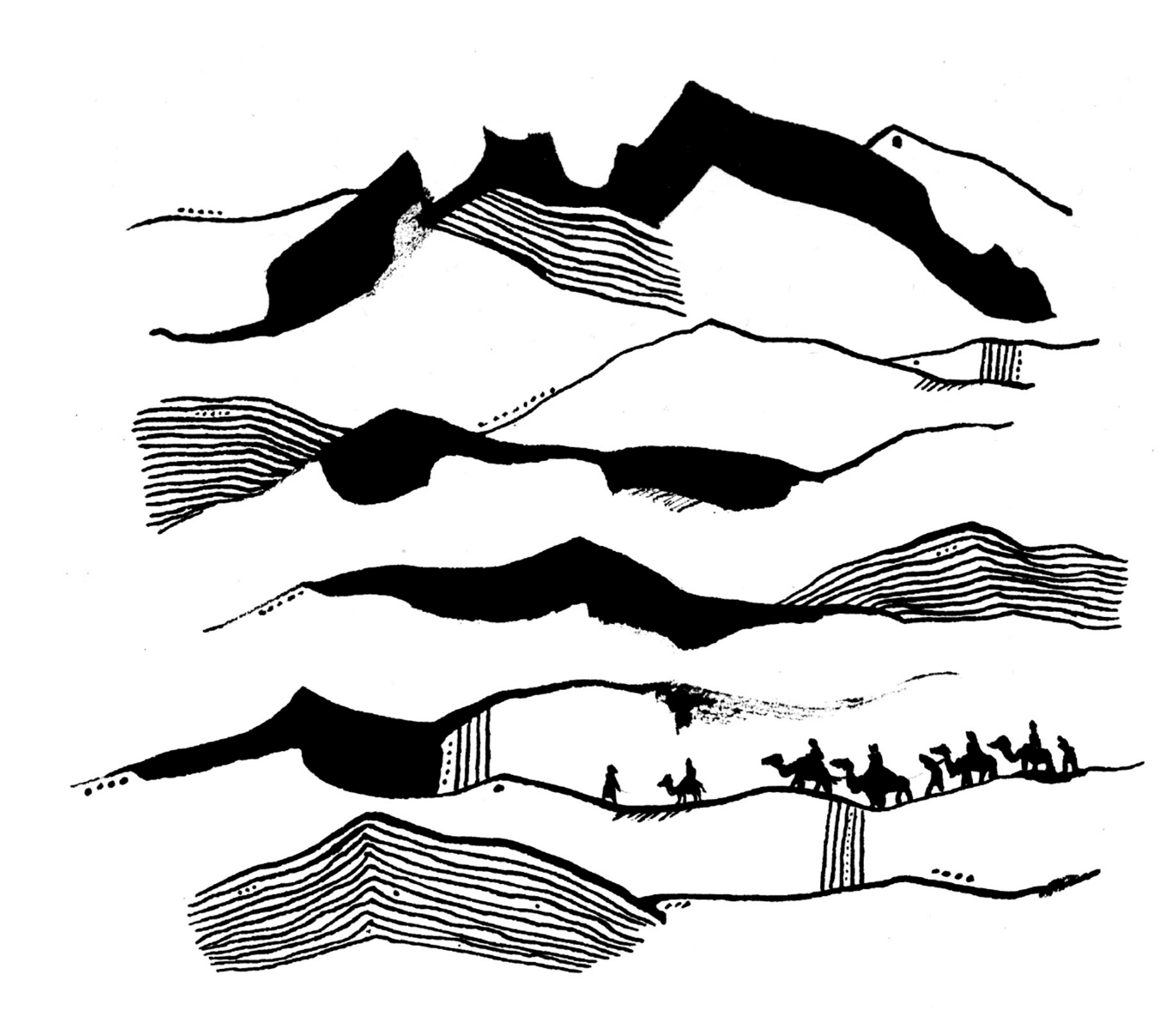
فقلت له: يا هذا قد والله فضحتني ولسفك دمي أهون عليّ ممّا فعلته فخذ ما دفعته إليك فإنّي عنه غنيّ.

فضحك وقال: أردت أن تكذّبني في مقالي هذا! والله لا أخذته ولا آخذ لمعروف ثمنًا أبدًا، وتركني ومضى.

فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وضمنت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبرًا وكأنّ الأرض ابتلعته.

الفرج بعد الشدّة، ٤/٥١-٥٣.

أضاع هميانه في طريق الحجّ ووجده أحوج ما يكون إليه



حدّثني عبيد الله بن محمّد الصروي قال حدّثني أبي أنّ رجلاً حجّ وفي وسطه هميان فيه دنانير وجواهر قيمة الجميع ثلاثة آلاف دينار وكان الهميان ديباج أسود. فلمّا كان في بعض الطريق جلس يبول فانحلّ الهميان من وسطه وسقط ولم يعلم بذلك إلّا بعد أن سار من الموضع فراسخ. واتّفق أنّ رجلاً جاء على أثره فجلس يبول مكانه فرأى الهميان فأخذه وكان له دين فحفظه.

قال الرجل: فلم يؤثّر في قلبي ذهابه لكثرة مالي فاحتسبته عند الله تعالى وتغافلت، وكان معي تجارة بأموال عظيمة فقضيت حجّي وعدت إلى بلدي.

فلمّا كان بعد سنين افتقرت لمحن توالت عليّ حتّى لم يبق لي شيء فهربت على وجهي من بلدي وقد أفضيت إلى الصدقة عليّ وزوجتي معي فأويت إلى بعض القرى فنزلت في خان خراب فأصاب زوجتي الطلق وما أملك غير دانق ونصف فضّة وكانت ليلة مطيرة فولدت.

فقالت: يا هذا السّاعة أموت فاخرج وجد لي شيئا أتقوّى به.

فخرجت أتخبّط في الظلمة والمطر حتّى جئت إلى بقّال فوقفت عليه فكلّمني بعد كلّ جهد فشرحت له حالي فرحمني وأعطاني بتلك القطعة حلبة وزيتًا أغلاهما عنده وأعارني غضارة جعلته فيها فمشيت أريد موضعي فزلقت فانكسرت الغضارة وذهب ما فيها. فورد عليّ أمر عظيم ما ورد عليّ مثله قطّ وأقبلت ألطم وأبكي وأصيح فإذا برجل قد أخرج رأسه من شبّاك في دار وقال: ويلك، ما لك تبكي ما تدعنا ننام؟ فشرحت له قصّتي.

فقال: هذا البكاء كله بسبب دانق ونصف؟

فتداخلني من الغمّ أكثر من الأوّل فقلت: يا هذا والله ما لِما ذهب عندي محلّ، ولكنّ بكائي رحمة لنفسي ممّا دُفعت إليه، وإنّ زوجتي وولدي الساعة يموتان جوعًا ووالله وإلّا فعليّ وعليّ، وحلفت بأيمان مغلّظة لقد حججت في سنة كذا وأنا أملك من المال ما ذهب منّي هميان فيه دنانير وجواهر بثلاثة آلاف دينار ما فكّرت فيه، وهوذا تراني الآن أبكي بسبب دانق ونصف فضّة، فاسأل الله العافية والسلامة ولا تعيّرني فتُبتلى بمثل بلواي.

فقال لي: بالله عليك ما كان صفة هميانك؟

فلطمت رأسي، وقلت: ما يقنعك ما خاطبتني به وما تراه من صورتي وقيامي

في الطين والمطر حتّى تتلهّى بي؟ وأيّ شيء ينفعني وينفعك من صفة همياني وقد ضاع من كذا وكذا سنة، ومشيت.

وإذا هو قد خرج يصيح بي: تعالى خذ هذا، فقدّرته يتصدّق عليّ فجئته.

فقال: أيش صفة هميانك؟ وقبض على يدي فلم أقدر أتخلّص منه فوصفت له همياني.

فقال لي: ادخل، فدخلت منزله.

فقال: أين زوجتك؟

فقلت: في الخان الفلانيّ.

فأنفذ غلمانه فأتوا بها فأدخلها إلى حرمه فأصلحوا أمرها وأطعموها ما احتاجت إليه وكساني كسوة حسنة وأدخلني الحمّام وأصبحت عنده في عيشة طيّبة.

فقال لي: أقم عندي أيّامًا لأضيفك، فأقمت عنده عشرة أيّام، فكان يعطيني في كلّ يوم عشرين دينارًا، وأنا متحيّر من عظيم برّه بعد شدّة جفائه.

فلمّا كان بعد ذلك قال لي: أيّ شيء تتصرّف فيه؟

فقلت: كنت تاجرًا.

فقال: أقم عندي وأنا أعطيتك رأس مال فتتّجر في شركتي.

فقلت: أفعل.

فدفع إليّ مائتي دينار وقال لي: اتّجر بها هاهنا.

فقلت: هذا معاش قد أغناني الله تعالى به يجب أن ألزمه، فلزمته.

فلمّا كان بعد شهور ربحنا فجئته فقلت له: خذ ربحك.

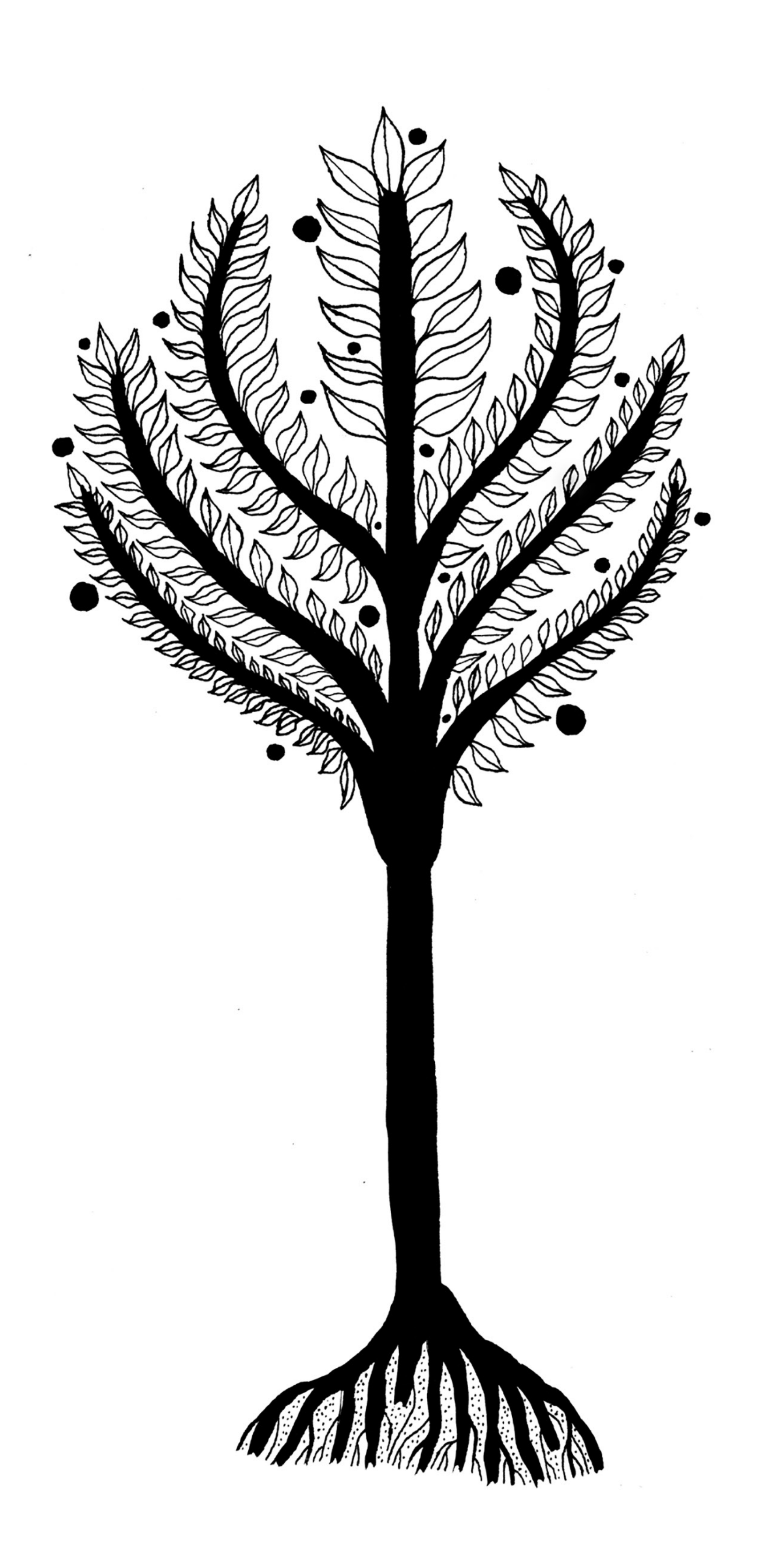
فقال لي: اجلس، فجلست.

فأخرج إليّ همياني وقال: أتعرف هذا؟فحين رأيته، شهقت شهقة غشي عليّ منها. ثمّ أفقت بعد ساعة، فقلت له: يا هذا، أملك أنت أم نبيّ؟

فقال: لا، ولكنّي ممتحن بحفظ همیانك منذ كذا وكذا سنة، فلمّا سمعتك تلك الليلة تقول ما قلته وأعطيتني علامته أردت أن أعطيك هو فخشيت أن تنشقّ مرارتك من الفرح فأعطيتك تلك الدنانير التي أوهمتك أنّها هبة لك وإنّما أعطيتك ذلك كلّه من همیانك والدنانير المائتان قرض فخذ همیانك واجعلني في حلّ.

فأخـذته ودعوت له ورددت عليـه القـرض ورجعت إلى بلدي وبعـت الجوهـر وأضفت ثمنـه إلى الدنانيـر واتّجرت بها فما مضت إلّا سـنيّات حتّى صرت صاحب عشـرة آلاف دينار وصلحت حالي فأنا في فضل الله تعالى أعيش إلى الآن.

الفرج بعد الشدّة، ٢/٣٧٣–٣٧٧.



رأى في المنام أنّ غناه بمصر

حدّثني أبو الرّبيع سليمان بن داود البغدادي صاحبٌ كان لأبي وكان قديمًا يخدم القاضيين أبا عمر محمّد بن يوسف وابنه أبا الحسين في دورهما، وكانت جدّته تُعرف بسمسمة قهرمانة كانت في دار القاضي أبي عمر محمّد بن يوسف رحمه الله، قال: كان في جوار القاضي قديمًا رجل انتشرت عنه حكاية وظهر في يده مال جليل بعد فقر طويل، وكنت أسمع أنّ أبا عمر حماه من السلطان، فسألت عن الحكاية فدافعني طويلا، ثمّ حدّثني قال: ورثت عن أبي مالاً جليلاً فأسرعت فيه وأتلفته حتّى أفضيت إلى بيع أبواب داري وسقوفها ولم يبقَ لي من الدنيا حيلة وبقيت مدّة بلا قوت إلّا من غزل أمّي فتمنّيت الموت. فرأيت ليلة في النوم كأنّ قائلا يقول لي: غناك بمصر فاخرج إليها.

فبكّرت إلى أبي عمر القاضي وتوسّلت إليه بالجوار وبخدمة كانت من أبي لأبيه وسألته أن يزوّدني كتابًا إلى مصر لأتصرّف بها، ففعل وخرجت. فلمّا حصلت بمصر أوصلت الكتاب وسألت التصرّف فسدّ الله عليّ الوجوه حتّى لم أظفر بتصرّف ولا لاح لي شغل. ونفدت نفقتي فبقيت متحيّرًا وفكّرت في أن أسأل الناس وأمدّ يدي على الطريق فلم تسمح نفسي، فقلت: أخرج ليلاً وأسأل.

فخرجت بين العشاءين فما زلت أمشي في الطريق وتأبى نفسي المسألة ويحملني الجوع عليها وأنا ممتنع إلى أن مضى صدر من الليل. فلقيني الطائف فقبض عليّ ووجدني غريبًا فأنكر حالي فسألني عن خبري، فقلت: رجل ضعيف، فلم يصدّقني وبطحني وضربني مقارع.

فصحت: أنا أصدقك.

فقال: هات.

فقصصت عليه قصّتي من أوّلها إلى آخرها وحديث المنام.

فقال لي: أنت رجل ما رأيت أحمق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة في النوم كأنّ رجلا يقول لي: ببغداد في الشارع الفلانيّ في المحلّة الفلانيّة، فذكر شارعي ومحلّتي فسكتّ وأصغيت إليه وأتمّ الشرطي الحديث، فقال: دار يقال لها دار فلان، فذكر داري واسمي، فيها بستان وفيه سدرة، وكان في بستان داري سدرة، وتحت السدرة مدفون ثلاثون ألف دينار فامض فخذها، فما فكّرت في هذا الحديث ولا التفتّ إليه وأنت يا أحمق فارقت وطنك وجئت إلى مصر بسبب منام.

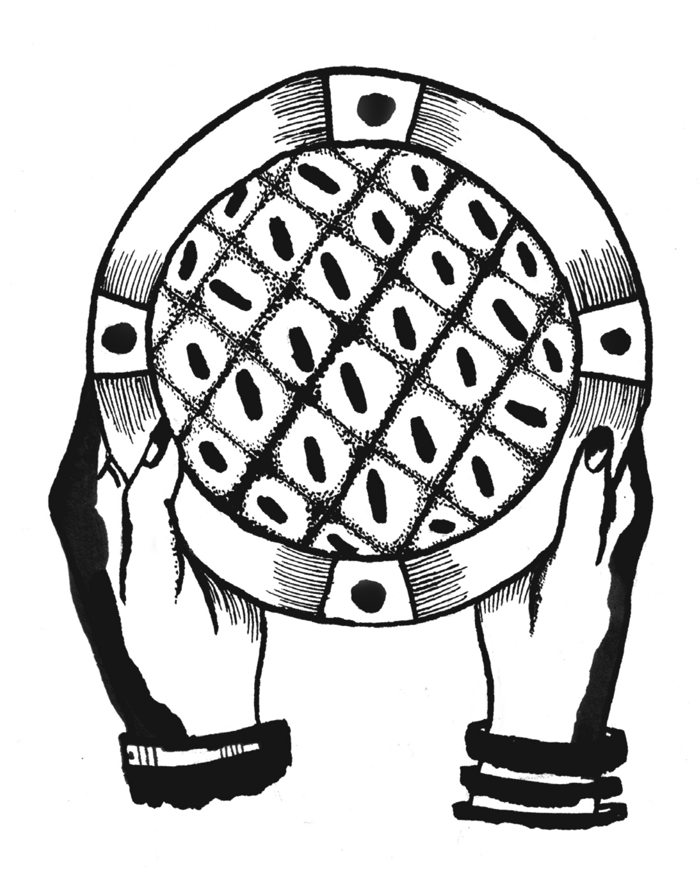
قال: فقوي بذلك قلبي وأطلقني الطائف فبتّ في بعض المساجد وخرجت مع السحر من مصر فقدمت بغداد فقطعت السدرة وأثرت تحتها فوجدت

قمقمًا فيه ثلاثون ألف دينار فأخذته وأمسكت يدي ودبّرت أمري، فأنا أعيش من تلك الدنانير من فضل ما ابتعت منها من ضيعة وعقار إلى اليوم.

الفرج بعد الشدّة، ٢/٢٦٨-٢٦٩.

الصّوفي المتوكّل وجام فالوذج حارّ

حدّثني ابن سيّار عن شيخ من الصوفيّة قال: صحبت شيخًا من الصوفيّة وجماعة منهم في سفر فجرى ذكر التوكّل والأرزاق وضعف النّفس، فقال ذلك الشيخ: عليّ وعليّ وحلف بأيمان مغلّظة لا ذقت شيئا أو يبعث الله عزّ وجلّ إليّ جام فالوذج حارّ، ولا آكله إلّا بعد أن يحلف عليّ أو يجري عليّ مكروه وكنّا نمشي في الصحراء.



فقالت الجماعة: أنت جاهل ونحن نمشي حتّى انتهينا إلى القرية وقد مضى عليه يومان وليلتان ولم يطعم شيئا ففارقته الجماعة غيري. فطرح نفسه في مسجد في القرية وقد ضعفت قوّته وأشرف على الموت فأقمت عنده.

فلمّا كان في ليلة اليوم الثالث وقد انتصف اللّيل وكاد يتلف دُقّ علينا باب المسجد ففتحته فإذا بجارية سوداء ومعها طبق مغطّى، فلمّا رأتنا قالت: أنتم من أهل القرية أم غرباء؟

فقلنا: غرباء.

فكشفت عن جام فالوذج حارّ.

فقالت: كلوا.

فقلت له: كل.

فقال: لا أفعل.

فقلت: والله لا أكلت أو تأكل، ووالله لتأكلنّ، لأبرّ قسمه.

فقال: لا أفعل.

فشالت الجارية يدها، فصفعته صفعة عظيمة، وقالت: واللّه لئن لم تأكل لأصفعنّك هكذا إلى أن تأكل.

فقال: كل معي فأكلت معه فنظّفنا الجام.

فلمّا أخذته لتمضي قلت لها: باللّه حدّثينا بخبر هذا الجام.

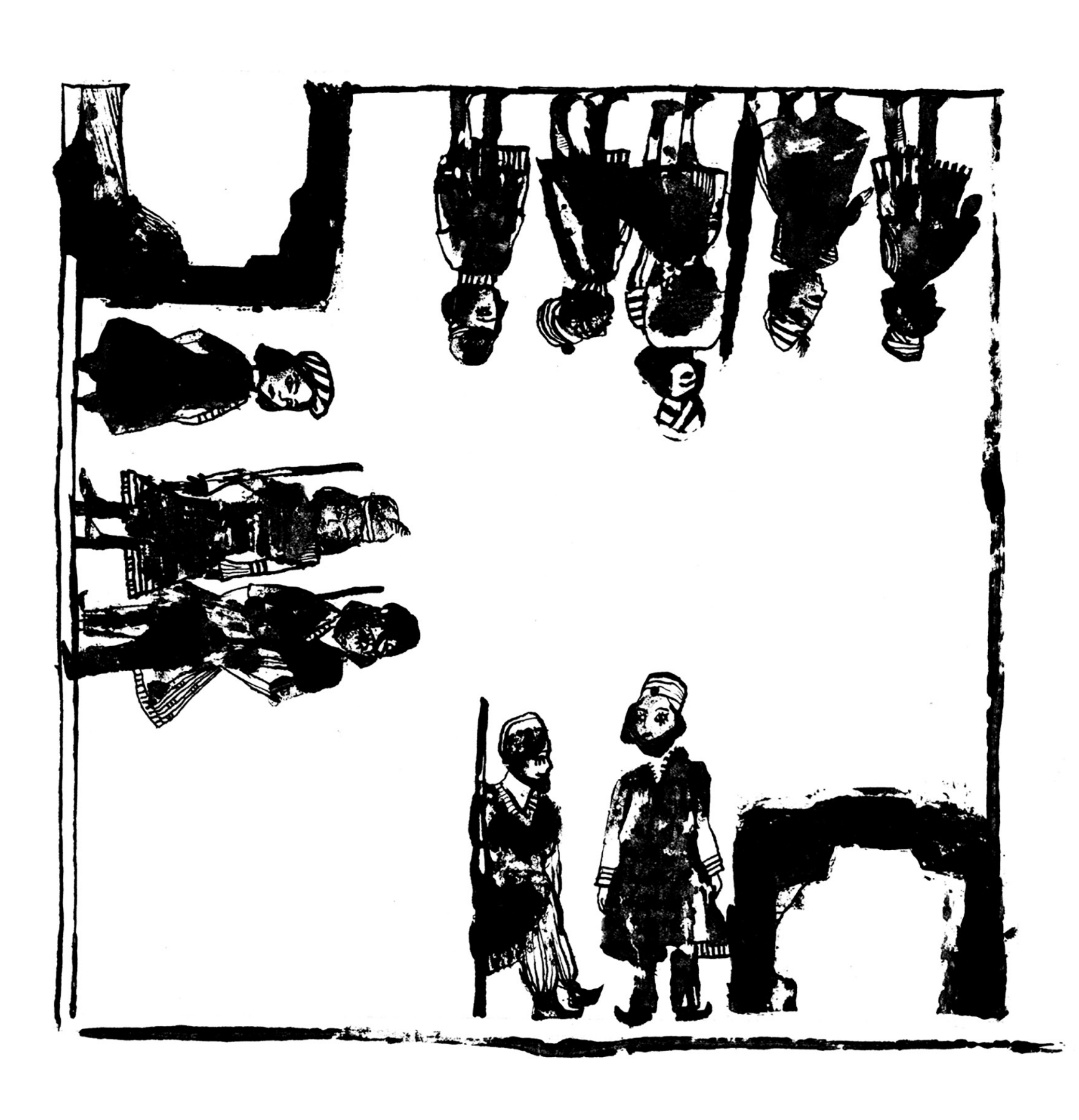
قالت: نعم، أنا جارية رئيس هذه القرية وهو رجل حديد طلب منّا منذ ساعة فالوذج حارّ فقمنا لنصلحه وهو شتاء وبرد فإلى أن نخرج الحوائج ونعقد الفالوذج تأخّر عليه فطلبه فقلنا: نعم، فحلف بالطّلاق أنّه لا يأكله ولا أحد من أهل داره ولا أحد من أهل القرية إلّا غريب. فأخذته وجعلت أدور في المساجد إلى أن وجدتكما ولو لم يأكل هذا الشيخ لقتلته صفعًا ولا تطلق ستّي.

فقال لي الشّيخ: كيف ترى إذا أراد أن يفرّج؟

الفرج بعد الشدّة، ٣/٣٦–٣٧.

المحور الثاني

فضاءات متشابكة:
الصوت والحجر والقدر



هاك يا هذا الذي لا أعرفه

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال: رُوي عن شيخ من أهل الكوفة قال: أملقت وبلغت بي الحال أن نقضْتُ منزلي، فلمّا اشتدّ عليّ الأمر وتجرّد عيالي من الكسوة جاءتني الخادمة، فقالت: ما لنا دقيق ولا معنا ثمنه فما نعمل؟ فقلت: أسرجي حماري، وقد كان بقي لي حمار.

فقالت: ما أكل شعيرًا منذ ثلاث فكيف تركبه؟ فقلت: أسرجيه على كل حال فأسرجته فركبته أدبّ عليه هاربا ممّا أنا فيه حتّى انتهيت إلى البصرة. فلمّا شارفتها إذا أنا بموكب مقبل فلمّا انتهوا إليّ دخلت في جملتهم فرجعت الخيل تريد البصرة، فسرت معهم حتّى دخلتها وانتهى صاحب الموكب إلى منزله فنزل ونزل الناس معه ونزلت معهم. ودخلنا فإذا الدهليز مفروش والنّاس جلوس مع الرجل فدعا بغداء فجاءوا بأحسن غداء فتغدّيت مع الناس ثمّ وضّأنا ودعا بالغالية فغلّفنا بها.

ثمّ قال: يا غلمان هاتوا سَفَطًا فجاءوا بسفط أبيض مشدود ففتح فإذا فيه أكياس في كلّ ألف درهم فبدأ يعطي من على يمينه فأمرّها عليهم ثمّ انتهى إليّ وأعطاني كيسًا ثمّ ثنّى وأعطاني آخر ثمّ ثلّث وأعطاني آخر وأخذت الجماعة. وبقي في السفط كيس واحد فأخذه بيده وقال: هاك يا هذا الذي لا أعرفه.

فأخذت أربعة أكياس وخرجت، فقلت لإنسان: من هذا؟

قال: عبيد الله بن أبي بكرة.

الفرج بعد الشدّة، ٣/٣٠٠-٣٠١.

أعراب ثلاثة يتنبّأون بموت قاضي القضاة ودفنه في داره

وحدّثنا أبو الحسين قال: اجتزت أنا وأبو طاهر بن نصر القاضي بشارع القاضي نقصد دار قاضي القضاة أبي الحسين في علّته التي مات فيها لنعوده فإذا بثلاثة من الأعراب ركبان. فشال أحدهم رأسه وقد سمع غرابًا ينعب على حائط دار أبي الحسين قاضي القضاة فقال للنفسين اللذين خلفه: إنّ هذا الغراب ليخبرني بموت صاحب الدار.



فقال له الآخر: أجل إنّه ليموت بعد ثلاثة أيّام.

فقال الآخر: نعم ويدفن في داره.

فقلت: أسمعت ما قالوا؟

فقال: نعم.

فقلت: هؤلاء أجهل قوم، وافترقنا.

فلما كان في ليلة اليوم الرابع سَحَرًا ارتفعت الصيحة بموت قاضي القضاة أبي الحسين فذكرت قول الأعرابي وعجبت. وحضرنا جنازته ودفن في داره. فقلت لأبي طاهر: رأيت أعجب من وقوع مقالة الأعراب بعينها؟ أيش هذا؟

فقال: لا والله ما أدري، ولكن تعال حتّى نسأل عنهم ونقصدهم ونستخبر منهم من أين لهم ذلك.

قال: فكنّا أيّاما نسأل عنهم وعن حلّتهم من البلد فلا نخبر إلى أن أخبرونا بنزول حِلّة من بني أسد بباب حرب فقصدناهم.

فقلنا: هل فيكم من يبصر الزجر؟

فقالوا: أجل ثلاثة إخوة في آخر الحيّ يعرفون ببني العائف ودلّونا على أخيتهم.

فجئنا فصادفنا أصحابنا بأعيانهم ولم يعرفونا فأخبرناهم بما سمعناه منهم وسألناهم عنه.

فقالوا: إنّا وغيرنا من العرب نعرف نعيبًا للغراب بعينه لا ينعبه في موضع إلّا مات ساكنه مجرّبا على قديم السنين في البوادي لا يخطئونه ورأينا ذلك الغراب نعب ذلك النعيب الذي نعرفه.

فقلنا للآخر: كيف قلت إنّه يموت بعد ثلاثة أيّام؟

قال: كان ينعب ثلاثًا متتابعات ثمّ يسكت ثمّ ينعب ثلاثًا على هذا فحكمت بذلك.

فقلت للآخر: وكيف قلت إنّه يدفن في داره؟

قال: رأيت الغراب يحفر الحائط بمنقاره ورجليه ويحثو على نفسه التراب فقلت: إنّه يدفن في داره.

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٢/٣٢٠-٣٢١.



كفى بالأجل حارسًا

وجدت في دفتر عتيق أعطانيه أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق رحمه الله وأخبرني أنّه بخطّ عمّه أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول الأنباري رحمه الله أحاديثَ من النوادر عن ابن زنبور ممّا صار إلينا ولم أسمعه منه وكان فيها حديث يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال: حدّثنا الحارث بن مرّة قال: حدّثنا يزيد الرقاشي قال: حدّثنا إبراهيم بن الخضر وكان أحد أمناء القاضي ببغداد ويخلف القضاة الغيّب بحضرة قاضي القضاة وغيرهم، قال: حدّثني صديق لي أثق به قال: خرجت إلى الحائر في أيّام الحنبليّة أنا وجماعة متخفّين فلمّا صرنا في أجمة بانقيا قال لي رفيق فيهم: يا فلان، إنّ نفسي تحدّثني أنّ السّبع يخرج فيفترسني من دون الجماعة فإن كان ذلك فخذ حماري وما عليه فأدّه إلى عيالي.

فقلت: هذا استشعار رديء، يجب أن تتعوّذ بالله منه وتضرب عن الفكر فيه.

فما مضى على هذا إلّا شيء يسير حتّى خرج الأسد،فحين رآه الرجل سقط عن حماره، فأخذه ودخل به الأجمة، وسقت أنا الحمار وأسرعت مع القافلة وبلغت الحائر وزرنا ورجعنا إلى بغداد. فاسترحت في بيتي أيّامًا ثمّ أخذت الحمار وجئت به إلى منزله لأسلّمه إلى عياله فدققت الباب فخرج إليّ الرجل بعينه، فحين رأيته طار عقلي وشككت فيه فعانقني وبكى وبكيت.

فقلت: حدّثني حديثك.

فقال: إنّ السبع ساعة أخذني جرّني إلى الأجمة ثمّ سمعت صوت شيء ورأيت الأسد قد خلّاني ومضى ففتحت عيني فإذا الذي سمعت صوت خنزير وإذا السبع لمّا رآه عنّ له أن يتركني ومضى فصاده وبرك عليه يفترسه وأنا أشاهده إلى أن فرغ منه ثمّ خرج من الأجمة وغاب عنّي، فسكنت وتأمّلت حالتي فوجدت مخاليبه قد وصلت إلى فخذي وصولاً قليلاً وقوّتي قد عادت.

فقلت: لأيّ شيء جلوسي هاهنا؟ فقمت أمشي في الأجمة أطلب الطريق فإذا بجيف ناس وبقر وغنم وعظام باليات وآثار من قد فرسهم الأسد. فما زلت أتخطّاهم حتّى انتهيت إلى رجل قد أكل الأسد بعض جسده وبقي أكثره وهو طريّ وفي وسطه هميان قد تخرّق بعضه وظهرت منه دنانير. فتقدّمت فجمعتها وقطعت الهميان وأخذت جميع ما فيه وتتبّعتها حتّى لم يبق منها شيء. وقويت نفسي وأسرعت في المشي وطلبت الجادّة فوقعت عليها واستأجرت

حمارًا وعدت إلى بغداد ولم أمضِ إلى الزيارة لأنّي خشيت أن تسبقوني فتذكروا خبري لأهلي فيصير عندهم مأتم فسبقتكم وأنا أعالج فخذي وإذا منّ الله عليّ بالعافية عدت إلى الزيارة.

وقد حدّثني بهذا الحديث غير واحد من أهل بغداد بقريب من هذه العبارة.

وبلغني عن أبي الحسن عليّ بن محمّد بن مقلة، أنّه كان قال: كنت بالموصل مع المتّقي لله وأنا وزيره إذ ذاك فأتاني سلامة أخو نجح الطولوني بفيج معه كتب فقال: اسمع ما يقول هذا فإنّه طريف.

فدعوته وقلت: قل.

فقال: خرجت من بغداد أريدكم ومعي رفيق لي فيج من أهل بلد فأعطاني لمّا صرنا بين تكريت والسنّ دراهم كانت معه وقال لي: إنّ نفسه تحدّثه أنّ الأسد يخرج فيفترسه. وذكر قريبًا من هذا الحديث.

الفرج بعد الشدّة، ٤/١٣٥–١٣٨.



ما ثمانية وأربعة واثنان

أخبرني أبو الفرج الأصبهانيّ قال أخبرني أبو بكر محمّد بن القاسم بن بشّار الأنباري قال حدّثني أبي قال حدّثني أحمد بن عبيد عن الهيثم بن عديّ عن عبد الملك بن عمير قال: قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة، فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم من وجوه أهل الكوفة فسمرنا عنده، ثمّ قال: يحدّثني كلّ رجل منكم أحدوثة وابدأ أنت يا أبا عمرو.

فقلت: أصلح الله الأمير، أحديث الحقّ أم حديث الباطل؟

فقال: بل حديث الحقّ.

فقلت: إنّ امـرء القيس بن حجر الكندي، آلى أليّة أن لا يتزوّج بامرأة حتّى يسألها عن ثمانية وأربعـة واثنين فجعل يخطب النسـاء فإذا سألهنّ عنها، قلن: أربعة عشر.

فبينا هو يسـير في الليـل وإذا هو برجـل يحمل ابنة له صغيرة كأنّها القمر لتـمّه فأعجبته.

فقال لها: يا جارية ما ثمانية وأربعة واثنان؟

فقـالت: أمّا الثمانيـة فأطبّاء الكلبة، وأما الأربعة فأخلاف النّاقـة، وأمّا الاثنان فثديا المرأة.

فخطبها من أبيها فزوّجه منها واشترطت هي عليه أن تسأله ليلة يأتيها عن ثلاث خصال فجعل لها ذلك على نفسه وعلى أن يسوق لها مائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر وصائف وثلاثة أفراس ففعل ذلك. ثمّ إنّه بعث عبدًا له إلى المرأة وأهدى إليها نحيًا من سمن ونحيًا من عسل وحلّةً من قصب. فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحلّة ولبسها فتعلّقت بشجرة فانشقّت وفتح النحيين وأطعم أهل الماء منهما. ثمّ قدم على حيّ المرأة وهم خلوف فسألها عن أبيها وأمّها وأخيها ودفع إليها هديّتها.

فقالت: أعلم مولاك أنّ أبي ذهب يقرّب بعيدًا، ويبعّد قريبًا، وأنّ أمّي ذهبت

تشقّ النّفس نفسين، وأنّ أخي يراعي الشمس، وأنّ سماءكم انشقّت، وأنّ وعائيكما نضبا.

فقدم الغلام على مولاه، وأخبره بما قالت.

فقال: أمّا قولها ذهب أبي يقرّب بعيدا ويبعّد قريبًا فإنّ أباها ذهب يحالف قومًا على قومه، وأمّا قولها ذهبت أمّي تشقّ النّفس نفسين فإنّ أمها ذهبت تقبّل امرأة، وأمّا قولها إنّ أخي يراعي الشمس فإنّ أخاها في سرح له يرعاها فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح، وأمّا قولها إنّ سماءكم انشقّت فإنّ الحلّة الّتي بعثت بها معك انشقّت، وأمّا قولها إنّ وعائيكما نضبا فإنّ النحيين الّذين بعثت بهما نقصا فأصدقني.

فقال: يا مولاي إنّي نزلت بماء من مياه العرب فسألوني عن نسبي فأخبرتهم أنّي ابن عمّك ونشرت الحلّة فلبستها وتجمّلت بها فعلقت بشجرة فانشقّت وفتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء.

فقال: أولى لك. ثمّ ساق مائة من الإبل وخرج نحوها ومعه الغلام فنزلا منزلاً، فقام الغلام ليسقي فعجز، فأعانه امرؤ القيس فرمى به الغلام في البئر، وانصرف حتّى أتى المرأة بالإبل فأخبرهم أنّه زوجها.

فقيل لها: قد جاء زوجك.

فقالت: والله لا أدري أهو زوجي أم لا، ولكن انحروا له جزورًا وأطعموه من درّتها وذنبها، ففعلوا، فأكل ما أطعموه.

فقالت: اسقوه لبنًا حازرًا وهو الحامض، فشرب.

فقالت: أفرشوا له عند الفرث والدم، ففرشوا له، فنام.

فلمّا أصبحت، أرسلت إليه: إنّي أريد أن أسألك.

فقال: سلي عمّا بدا لك.

فقالت: ممّ تختلج شفتاك؟ فقال: لتقبيلي فاك.

فقالت: ممّ يختلج كشحاك؟ قال: لالتزامي إيّاك.

فقالت: ممّ يختلج فخذاك؟ فقال: لتورّكي إيّاك.

فقالت: عليكم بالعبد، فشدّوا أيديكم به، ففعلوا.

قال: ومرّ قوم فاستخرجوا امرء القيس من البئر، فرجع إلى حيّه، واستاق مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته.

فقيل لها: قد جاء زوجك.

فقالت: والله ما أدري أهو زوجي أم لا، ولكن أنحروا له جزورًا وأطعموه من كرشها وذنبها، ففعلوا، فلمّا أتوه بذلك، قال: أين الكبد والسنام والملحة، وأبى أن يأكل.

فقالت: أسقوه لبنًا حازرًا، فأبى أن يشرب، وقال: أين الضّرب والزبد؟

فقالت: افرشوا له عند الفرث والدم، فأبى أن ينام، وقال: افرشوا لي فوق التلعة الحمراء، واضربوا لي عليها خباء.

ثمّ أرسلت إليه تقول: هات شرطي عليك في المسائل الثلاث، فأرسل إليها: سلي عمّا شئت.

فقالت: ممّ تختلج شفتاك؟

قال: لشربي المشعشعات.

قالت: ممّ يختلج كشحاك؟

قال: للبسي الحبرات.

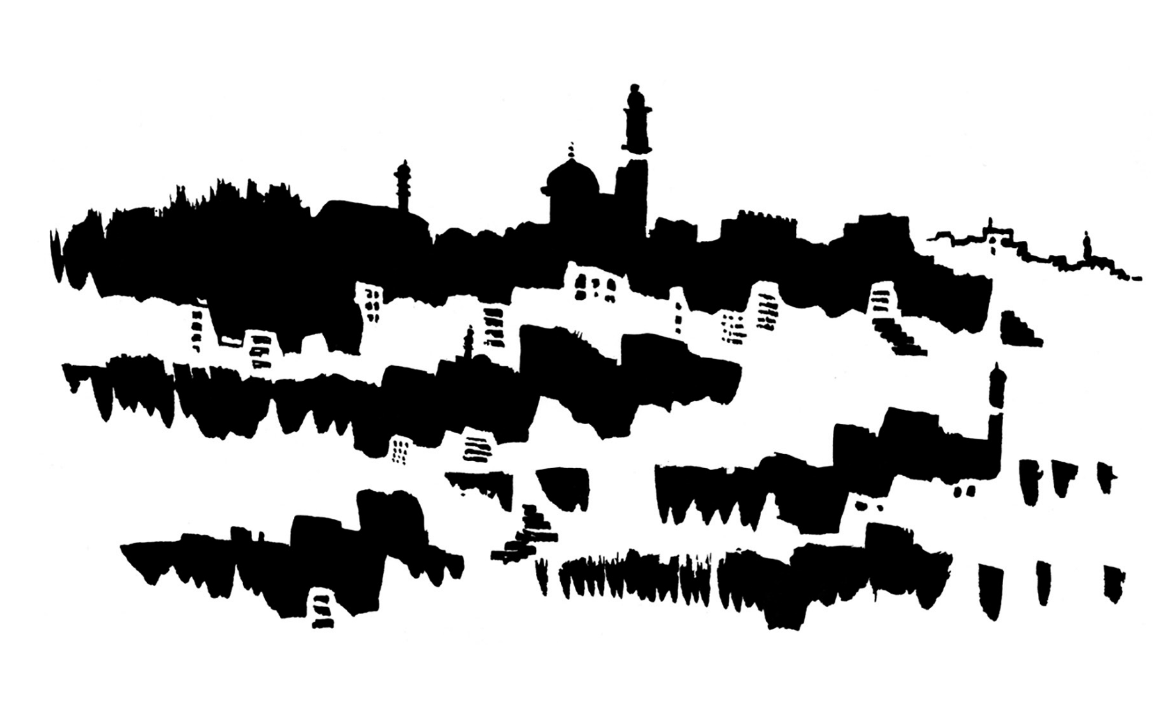
قالت: فممّ يختلج فخذاك؟

قال: لركوبي السابقات.

فقالت: هذا هو زوجي، فعليكم به، واقتلوا العبد، فقتلوه، وأقبل امرؤ القيس على الجارية.

فقال ابن هبيرة: لا خير في سائر الحديث الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو، ولن يأتينا أحد بأعجب منه، فقمنا وانصرفنا وأمر لي بجائزة.

الفرج بعد الشدّة، ٤/٣٧٨-٣٨٢.



الشيخ الخيّاط وأذانه في غير وقت الأذان

حدّثني القاضي أبو الحسن محمّد بن عبد الواحد الهاشميّ القاضي: إنّ شيخا من التجّار كان له على بعض القوّاد مال جليل، يماطله به.

قال: فعملت على الظلامة إلى المعتضد لأنّي كنت إذا جئت إلى القائد حجبني واستخفّ بي غلمانه وكنت إذا تحمّلت عليه فاستشفعت لم ينجع فيه وتظلّمت إلى عبيد الله بن سليمان منه فما نفعني.

فقال لي بعض إخواني: عليّ أن آخذ لك المال ولا تحتاج إلى الظلامة إلى الخليفة ولا إلى غيره فقم معي الساعة.

قال: فقمت معه فجاء بي إلى خيّاط في سوق الثلاثاء شيخ وهو جالس يخيط ويقرىء في المسجد فقصّ عليه قصّتي وسأله أن يقصد القائد فيسأله إزاحة علّتي، وكانت داره قريبة من موضع الخيّاط فقام معنا. فلمّا مشينا تأخّرت وقلت لصديقي: إنّك قد عرّضت هذا الشيخ ونفسك وإيّاي إلى مكروه غليظ، هذا إذا حصل على باب الرجل صُفع وصُفعنا معه، فإنّه لم يلتفت لشفاعة فلان

وفلان ولم يفكّر في الوزير، يفكّر في هذا؟

فضحك الرجل، وقال: لا عليك امش واسكت.

فجئنا إلى باب القائد فحين رأى غلمانه الخيّاط أعظموه وأهووا ليقبّلوا يده فمنعهم.

وقالوا: ما جاء بك يا شيخ؟ فإنّ صاحبنا راكب، فإن كان أمر نعمله نحن بادرنا إليه وإلّا فادخل واجلس حتّى يجيء.

فقويت نفسي بذلك فدخلنا وجلسنا. وجاء الرجل، فلما رأى الخيّاط أعظمه إعظامًا تامًّا، وقال: لست أنزع ثيابي أوتأمر بأمرك.

فخاطبه في أمري. فقال: والله، ما عندي إلّا خمسة آلاف درهم فسله أن يأخذها ورهنًا من مراكبي الفضّة والذهب إلى شهر لأعطيه.

فبادرت أنا إلى الإجابة فأحضر الدراهم والمراكب بقيمة الباقي فقبضت ذلك. وأشهدت الخيّاط وصديقي عليه بأنّ الرهن عندي إلى شهر على البقيّة، فإن جاز الأجل فأنا وكيل ببيعه وأخذ مالي من ثمنه فأشهدتهما على ذلك وخرجنا. فلمّا بلغنا إلى موضع الخيّاط طرحت المال بين يديه وقلت: يا شيخ، إنّ الله قد ردّ عليّ هذا بك فأحبّ أن تأخذ ربعه أو ثلثه أو نصفه بطيب من قلبي.

فقال: يا هذا ما أسرع ما كافأتني على فعل الجميل بالقبيح انصرف بمالك بارك الله لك فيه.

فقلت: قد بقيت لي حاجة.

فقال: قل.

قلت: تخبرني عن سبب طاعة هذا لك مع تهاونه بأكابر أهل الدولة.

فقال: يا هذا قد بلغت مرادك وأخذت مالك فلا تقطعني عن شغلي وما أعيش منه.

فألححت عليه. فقال: أنا رجل أؤمّ وأقرىء في هذا المسجد منذ أربعين سنة ومعاشي من هذه الخياطة لا أعرف غير هذا. وكنت منذ دهر قد صلّيت المغرب وخرجت أريد منزلي فاجتزت بتركيّ كان في هذه الدار فإذا قد اجتازت امرأة جميلة الوجه عليه فتعلّق بها وهو سكران ليدخلها داره وهي ممتنعة تستغيث وليس أحد يغيثها وتصيح ولا يمنعها منه أحد وتقول في جملة كلامها: إنّ زوجي قد حلف بطلاقي أن لا أبيت عنه، فإن بيّتني هذا أخرب بيتي مع ما يرتكبه منّي من المعصية ويلحقه بي من العار.

قال: فجئت إلى التركيّ ورفقت به وسألته تركها فضرب رأسي بدبّوس كان في

يده فشجّني وآلمني وأدخل المرأة، فصرت إلى منزلي فغسلت الدم وشددت الشجّة واسترحت. وخرجت أصلّي العشاء فلمّا فرغنا منها قلت لمن حضر: قوموا معي إلى عدوّ الله هذا التركيّ ننكر عليه ولا نبرح حتّى نخرج المرأة.

فقاموا وجئنا فضججنا على بابه فخرج إلينا في عدّة من غلمانه فأوقع بنا الضرب وقصدني من بين الجماعة فضربني ضربًا عظيمًا كدت أتلف منه فشالني الجيران إلى منزلي كالتالف. فعالجني أهلي ونمت نومًا قليلاً للوجع وأفقت نصف الليل فما حملني النوم فكرًا في القصّة.

فقلت: هذا قد شرب طول ليلته ولا يعرف الأوقات فلو أذّنت وقع له إنّ الفجر قد طلع فأطلق المرأة فلحقت بيتها قبل الفجر فتسلم من أحد المكروهين ولا يخرب بيتها مع ما قد جرى عليها. فخرجت إلى المسجد متحاملاً وصعدت المنارة فأذّنت وجلست أطّلع منها إلى الطريق أترقّب منها خروج المرأة فإن خرجت وإلّا أقمت الصلاة لئلّا يشكّ في الصباح فيخرجها. فما مضت إلّا ساعة والمرأة عنده فإذا الشارع قد امتلأ خيلاً ورِجلا ومشاعل وهم يقولون: من هذا الذي أذّن الساعة، أين هو؟

ففزعت وسكتّ ثمّ قلت أخاطبهم لعلّي أستعين بهم على إخراج المرأة.

فصحت من المنارة: أنا أذّنت.

فقالوا لي: انزل فأجب أمير المؤمنين.

فقلت: دنا الفرج ونزلت فمضيت معهم فإذا هم غلمان مع بدر.

فأدخلني على المعتضد فلمّا رأيته هبته وارتعدت فسكّن منّي. وقال: ما حملك على أن تغرّ المسلمين بأذانك في غير وقته، فيخرج ذو الحاجة في غير حينها ويمسك المريد للصوم في وقت أبيح له فيه الإفطار؟

فقلت: يؤمنّي أمير المؤمنين لأصدق؟

فقال: أنت آمن على نفسك.

فقصصت عليه قصة التركيّ وأريته الآثار التي بي.

فقال: يا بدر، عليّ بالغلام والمرأة الساعة وعزلت في موضع. فلمّا كان بعد ساعة قليلة أحضر الغلام والمرأة فسألها المعتضد عن الصورة فأخبرته بمثل ما قلته.

فقال لبدر: بادر بها الساعة إلى زوجها مع ثقة يدخلها دارها ويشرح له خبرها ويأمره عنّي بالتمسّك بها والإحسان إليها. ثمّ استدعاني فوقفت فجعل يخاطب الغلام وأنا قائم أسمع.

فقال له: يا فلان، كم رزقك؟

قال: كذا وكذا.

قال: وكم عطاؤك؟

قال: كذا وكذا.

قال: وكم وظائفك؟

قال: كذا وكذا.

قال: وجعل يعدّد عليه ما يصل إليه، والتركيّ يقرّ بشيء عظيم.

قال: فقال له: كم لك جارية؟

قال: كذا وكذا.

قال: فما كان لك فيهنّ وفي هذه النعمة العريضة كفاية عن ارتكاب معاصي الله عزّ وجلّ وخرق هيبة السلطان حتّى استعملت ذلك وتجاوزته إلى الوثوب بمن أمرك بالمعروف؟

فأسقط الغلام في يده ولم يحر جوابًا.

فقال: هاتم جوالق ومداقّ الجصّ وقيودًا وغلاًّ، فأحضر ذلك. فقيّده وغلّه وأدخله الجوالق وأمر الفرّاشين فدقّوه بمداقّ الجصّ. وأنا أرى ذلك وهو يصيح ثمّ انقطع صوته ومات. فأمر به فغُرّق في دجلة وتقدّم إلى بدر بحمل ما في داره.

ثمّ قال لي: يا شيخ أيّ شيء رأيت من أجناس المنكر كبيرًا كان أو صغيرًا أو أيّ أمر صغيرًا كان أو كبيرًا فمرّ به وأنكره ولو على هذا وأومأ بيده إلى بدر. فإن جرى عليك شيء أو لم يُقبل منك فالعلامة بيننا أن تؤذّن في مثل هذا الوقت فإنّي أسمع صوتك فأستدعيك وأفعل مثل هذا بمن لا يقبل منك أو بمن يؤذيك.

قال: فدعوت له وانصرفت.

وانتشر الخبر في الأولياء والغلمان فما سألت أحدًا منهم بعدها إنصافًا لأحد أو كفّا عن قبيح إلّا أطاعني كما رأيت خوفا من المعتضد، وما احتجت أن أؤذّن إلى الآن في غير وقت الأذان.

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ١/٣١٢-٣١٨.



يسقط من موضع عال فيسلم ثمّ يعثر بعتبة الباب فيقع ميتًا

أنبأنا محمّد بن عبد الباقي البزّاز قال: أنبأنا أبو القاسم عليّ بن المحسّن عن أبيه قال حدّثني أبو القاسم عبد الله بن أحمد الاسكافي قال سمعت أبا الحسن محمّد بن عمر العلوي يقول: إنّه لما بنى داره بالكوفة وكان فيها حائط عظيم العلوّ فبينا البنّاء قائم على أعلاه لإصلاحه سقط إلى الأرض فارتفع الضجيج استعظامًا للحال لأنّ العادة لم تجر بسلامة من يسقط عن مثل ذلك الحائط، فقام الرجل سالمًا لا قلبة به وأراد العود إلى الحائط ليتمّ البناء. فقال له الشريف أبو الحسن: قد شاع سقوطك من أعلى الحائط وأهلك لا يصدّقون سلامتك ولست أحبّ أن يردوا إلى بابي صوارخ فامض إلى أهلك ليشاهدوا سلامتك وعد إلى شغلك. فمضى مسرعًا فعثر بعتبة الباب فسقط ميتًا.

المنتظم ٧/٢١٣.

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٥/٢٧.



حجر عجيب الخواصّ في ضيعة عين جاره

قال أبو عليّ التنوخي: حدّثني الحسين بن نبت غلام الببّغاء وكتب لي خطّه وشهد له الببّغاء بصحّة الحكاية قال: كانت من أعمال حلب ضيعة تعرف بعين جاره بينها وبين الهونة أو قال الحونة أو الجومة حجر قائم كالتخم بين الضيعتين، وربّما وقع بين أهل الضيعتين شرّ فيكيدهم أهل الهونة بأن يلقوا ذلك الحجر القائم، فكما يقع الحجر يخرج أهل الضيعتين من النساء ظاهرات متبرّجات لا يعقلن على أنفسهنّ طلبًا للجماع ولا يستحيين من الحال، لما عليهنّ من غلبة الشهوة إلى أن يتبادر الرجال إلى الحجر فيعيدونه إلى حالته الأولى قائمًا منتصبًا فتتراجع النساء إلى بيوتهنّ وقد عاد إليهنّ التمييز باستقباح ما كنّ فيه.

وهذه الضيعة كان سيف الدولة الحمداني أقطعها أبا عليّ أحمد بن نصر البازيار وكان أبو عليّ يتحدّث بذلك ويسمعه الناس منه. وقد ذكر هذه الحكاية بخطّه في الأصل.

معجم البلدان، ٣/ ٧٦٠.

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٥/ ٣٤-٣٥.

المحور الثالث

لقاءات وأقنعة وأدوار متغيّرة



حائك الكلام

وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه قال بلغني عن عمرو بن مسعدة أنّه قال كنت مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم حتّى إذا نزل الرقّة قال لي: يا عمرو أما ترى الرخّجي قد احتوى على الأهواز وهي سلّة الخبز وجميع الأموال قبله وقد طمع فيها وكتبي متّصلة في حملها وهو يتعلّل ويتربّص بنا الدوائر؟

فقلت: أنا أكفي أمير المؤمنين هذا وأنفذ من يضطرّه إلى حمل ما عليه.

فقال: ما يقنعني هذا.

قلت: فيأمر أمير المؤمنين بأمره.

قال: تخرج إليه بنفسك حتّى تصفّده بالحديد وتحمله إليّ بعد أن تقبض جميع ما في يده من أموالنا وتنظر في ذلك وترتّب فيه عمّالاً.

فقلت: السمع والطاعة، فلمّا كان من غدٍ دخلت إليه.

فقال: ما فعلت فيما أمرتك به؟

قلت: أنا على ذاك.

قال: أريد أن تجيئني في غد مودّعًا.

قلت: السمع والطاعة، فلمّا كان من غد جئت مودّعًا.

فقال: أريد أن تحلف لي أنّك لا تقيم ببغداد إلّا يومًا واحدًا، فاضطربت من ذلك إلى أن حظر عليّ واستخلفني أن لا أقيم فيها أكثر من ثلاثة أيّام فخرجت وأنا مضطرب مغموم.

وقلت في نفسي: أنا في موضع الوزارة، وقد جعلني مستحثًّا إلى عامل ومستخرجًا، ولكنّ أمر الخليفة لا بدّ من سماعه وامتثال مرسومه. وسرت حتّى قدمت بغداد ولم أقم بها إلّا ثلاثة أيّام وانحدرت منها في زلّال أريد البصرة وجُعل لي فيه خيش واستكثرت من الثّلج لشدّة الحرّ.

فلمّا صرت بين جرجرايا وجبّل سمعت صائحًا من الشاطئ يصيح: يا ملّاح، فرفعت سجف الزلّال فإذا بشيخ كبير السنّ حاسر الرأس حافي القدمين خلق القميص.

فقلت للغلام: أجبه، فأجابه.

فقال: أنا شيخ كبير السنّ، على هذه الصورة التي ترى وقد أحرقتني الشمس وكادت تتلفني وأنا أريد جبّل فاحملوني معكم فإنّ الله عزّ وجلّ يحسن أجر صاحبكم.

قال: فشتمه الملاح وانتهره.

فأدركتني عليه رقّة وقلت للغلام: خذه معنا، فقدم إلى الشطّ وصحنا به وحملناه. فلمّا صار معنا في الزّلال وانحدرنا تقدّمت، فدُفع إليه قميص ومنديل وغسل وجهه واستراح فكأنّه كان ميتًا عاد إلى الدنيا. وحضر وقت الغداء فتذمّمت وقلت للغلام: هاته يأكل معنا. فجاء وقعد على الطعام فأكل أكل أديب نظيف غير أنّ الجوع قد أثّر فيه. فلمّا رُفعت المائدة أردت أن يقوم ويغسل يده ناحية كما يفعل العامّة في مجالس الخاصّة، فلم يفعل، فغسلت يدي. وتذمّمت أن آمر بقيامه فقلت: قدّموا له الطست، فغسل يده وأردت بعدها أن يقوم لأنام فلم يفعل.

فقلت: يا شيخ أيش صناعتك؟

قال: حائك أصلحك الله.

فقلت في نفسي: هذه الحياكة علّمته سوء الأدب، فتناومت عليه ومددت رجليّ.

فقال: قد سألتني عن صناعتي فأجبتك، فأنت أعزّك الله ما صناعتك؟

فأكبرت ذلك وقلت: أنا جنيت على نفسي هذه الجناية ولا بدّ من احتماله، أتراه الأحمق لا يرى زلّالي وغلماني ونعمتي وأنّ مثلي لا يُقال له مثل هذا؟ ثمّ قلت: أنا كاتب.

فقال: كاتب كامل أم كاتب ناقص؟ فإنّ الكتّاب خمسة، فمن أيّهم أنت؟

فورد عليّ من قول الحائك مورد عظيم وسمعت كلامًا أكبرته وكنت متّكئًا فجلست.

ثمّ قلت له: فصّل الخمسة.

قال: نعم، كاتب خراج يقتضي أن يكون عالمًا بالشروط والطسوق والحساب والمساحة والبثوق والفتوق والرتوق. وكاتب أحكام يحتاج أن يكون عالمًا بالحلال والحرام والاختلاف والاحتجاج والإجماع والأصول والفروع. وكاتب معونة يحتاج أن يكون عالمًا بالقصاص والحدود والجراحات والمراتبات والسياسات. وكاتب جيش يحتاج أن يكون عالمًا بحلى الرجال وشيات الدوابّ ومداراة الأولياء وشيء من العلم بالنسب والحساب. وكاتب رسائل يحتاج إلى أن يكون عالمًا بالصدور والفصول والإطالة والإيجاز وحسن البلاغة والخطّ.

قال فقلت: أنا كاتب رسائل.

قال: أصلحك الله لو أنّ رجلاً من إخوانك تزوّجت أمّه فأردت أن تكاتبه مهنّئًا فماذا كنت تكتب إليه؟

ففكّرت في الحال فلم يخطر ببالي شيئ، فقل: اعفني.

قال: قد فعلت ولكنّك لست بكاتب رسائل.

قلت: أنا كاتب خراج.

قلت: لا بأس، لو أنّ أمير المؤمنِين ولّاك ناحية وأمرك فيها بالعدل والإنصاف وتقصّي حقّ السّلطان فتظلّم إليك بعضهم من مسّاحك وأحضرتهم للنّظر بينهم وبين رعيّتك فحلف المسّاح بالله العظيم لقد أنصفوا وما ظلموا وحلف الرعيّة بالله العظيم أنّهم قد جاروا وظلموا، وقالوا لك: قف معنا على ما مسحوه وانظر من الصادق من الكاذب فخرجت لتقف عليه فوقفوا على قراح شكله قاتل قثا كيف كنت تمسحه؟

فقلت: كنت آخذ طوله على انعواجه وآخذ عرضه ثمّ أضربه في مثله.

قال: إنّ شكل قاتل قثا يكون رأساه محدّدان وفي تحديده تقويس.

قلت: فآخذ الوسط فأضربه بالعمود.

قال: إذًا ينثني عليك العمود، فأسكتني.

فقل: أنا لست كاتب خراج.

قال: فإذًا ماذا؟

قلت: أنا كاتب قاض.

قال: لا تبال، أفرأيْت لو أنّ رجلاً توفّي وخلف امْرأتيْن حاملتين إحداهما حرّة والأخرى سريّة وولدت السريّة غلامًا والحرّة جارية فعمدت الحرّة إلى ولد السريّة فأخذته وتركت بدله الجارية فاختصمتا في ذلك كيف الحكم بينهما؟

قلت: لا أدري.

قال: فلست كاتب قاض.

قلت: أنا كاتب جيش.

قال: لا بأس، أرأيت لو أنّ رجلين جاءا إليك لتحلّيهما وكلّ واحد منهما اسمه واسم أبيه كاسم الآخر واسم أبيه إلّا أنّ أحدهما مشقوق الشفة العليا والآخر مشقوق الشفة السفلى كيف كنت تحلّيهما؟

قلت: أقول فلان الأعلم وفلان الأعلم.

قال: إنّ رزقيهما مختلفان وكلّ واحد منهما يجيء في دعوة الآخر.

قلت: لا أدري.

قال: فلست بكاتب جيش.

قلت: أنا كاتب معونة.

قال: لا تبال، لو أنّ رجلين رُفعا إليك شُجّ أحدهما شجّة موضحة وشجّ الآخر صاحبه شجّة مأمومة كيف تفصل بينهما؟

قلت: لا أدري.

قال: إذن لست كاتب معونة فاطلب لنفسك أيّها الرجل شغلاً غير هذا.

قال: فقصرت إلى نفسي وغاظني فقلت: قد سألت عن هذه الأمور ويجوز أن لا يكون عندك جوابها كما لم يكن عندي فإن كنت عالمًا بالجواب فقل.

فقال: نعم، أمّا الذي تزوّجت أمّه فتكتب إليه: أمّا بعد، فإنّ الأمور تجري من عند الله بغير محبّة عباده ولا اختيارهم بل هو تعالى يختار لهم ما أحبّ وقد بلغني تزويج الوالدة خار الله لك في قبضها فإنّ

القبر أكرم الأزواج وأستر للعيوب والسلام. وأمّا قراح قاتل قثا، فيمسح العمود حتّى إذا صار عدداً في يدك ضربته في مثله ومثل ثلثه فما خرج فهو مساحته. وأمّا الجارية والغلام، فيوزن اللبنان فأيّهما أخفّ فالجارية له. وأمّا المرتزقان المتوافقان في الاسمين، فإن كان الشقّ في الشفة العليا كتبت فلان الأعلم وإذا كان في الشفة السفلى كتبت فلان الأفلح. وأمّا أصحاب الشجّتين، فلصاحب الموضّحة ثلث الدية ولصاحب المأمومة نصف الدية.

قال: فلمّا أجاب في هذه المسائل تعجّبت منه وامتحنته في أشياء غيرها كثيرة فوجدته ماهرًا في جميعها حاذقًا بليغًا.

فقلت: ألست زعمت أنّك حائك؟

فقال: أنا أصلحك الله حائك كلام ولست بحائك نساجة، ثمّ أنشأ يقول:

ما مرّ بؤس ولا نعيم	إلّا ولي فيهما نصيبُ
نوائب الدهر أدّبتني	وإنّما يوعظ الأديب
قد ذقت حلوًا وذقت مرًّا	كذاك عيش الفتى ضروبُ

قلت: فما سبب الذي بك من سوء الحال؟

قال: أنا راجل كاتب دامت عطلتي وكثرت عيلتي وتواصلت محنتي وقلّت

حيلتي فخرجت أطلب تصرّفًا فقُطع عليّ الطريق فتُركت كما ترى فمشيت على وجهي فلمّا لاح لي الزّلال استغثت بك.

قلت: فإنّي قد خرجت إلى تصرّف جليل أحتاج فيه إلى جماعة مثلك وقد أمرت لك بخلعة حسنة تصلح لمثلك وخمسة آلاف درهم تصلح بها أمرك وتنفذ منها إلى عيالك وتتقوّى نفسك بباقيها وتصير معي إلى عملي فأولّيك أجلّه إن شاء الله تعالى.

فقال: أحسن الله جزاءك إذن تجدني بحيث يسرّك ولا أقوم مقام معذّر إن شاء الله.

فأمرت بتقبيضه ما رسمت له فقبضه وانحدر إلى الأهواز معي فجعلته المناظر للزّجي والمحاسب له بحضرتي والمستخرج لما عليه فقام بذلك أحسن قيام وأوفاه، وعظمت حاله معي وعادت نعمته إلى أحسن ما كانت عليه.

الفرج بعد الشدّة، ٣/٣٠٦-٣١٣.

عيّار بغدادي يحتال على أهل حمص

حدّثني أبو الطيّب بن عبد المؤمن قال: خرج بعض حذّاق المكدّين من بغداد إلى حمص ومعه امرأته. فلمّا حصل بها قال لها: إنّ هذا بلد حماقة ومال وإنّي أريد أن أعمل معيبًا، قال: وهذه كلمة لهم إذا أرادوا أن يعملوا حيلة كبيرة فساعديني عليها بالصبر.

قالت: شأنك؟

فقال: كوني بموضعك ولا تجتازي بي البتّة، وإذا كان كلّ يوم خذي لي ثلثي رطل زبيبًا وثلثي رطل لوزًا نيّئًا فاعجنيه واجعليه وقت الهاجرة على آجرة نظيفة لأعرفها في الميضأة الفلانيّة وكانت قريبة من الجامع ولا تزيديني على هذا شيئًا ولا تمرّي بناحيتي.



فقالت: أفعل.

قال: وجاء هو وأخرج جبّة صوف كانت معه فلبسها وسراويل صوف ومئزرًا جعله على رأسه.

واعتمد اسطوانة في الجامع بحيث يجتاز عليها أكثر الناس فلزمها يصلّي نهاره أجمع وليله أجمع ولا يستريح إلّا في الأوقات المحضورة فيها الصلاة وإذا جلس للراحة سبّح ولم ينطق بلفظة. ولم يُشعر به أيّاما، ثمّ تُنبّه على مكانه وروعي مدّة وعُرف خبره ووُضعت العيون عليه فإذا هو لا يقطع الصلاة ولا يذوق الطعام فتحيّر أهل البلد في أمره.

وكان لا يخرج من الجامع إلّا في الهاجرة في كلّ يوم دفعة حتّى يمضي إلى تلك الميضأة فيبول ويعمد إلى تلك الآجرة وقد عرفها وعليها ذلك المعجون وقد صار مستحيلاً وصورته صورة الغائط الناشف المستحيل فمن يدخل ويخرج لا يشكّ أنّه غائط فيأكله ويقيم أوده ويرجع فإذا تمسّح لصلاة العتمة في الليل، شرب كفايته من الماء، وأهل حمص يظنّون أنّه لا يذوق الماء ولا الطعام وأنّه طاوٍ طول تلك المدّة. فعظم شأنه ومحلّه عندهم وقصدوه وكلّموه فلم يجب وأحاطوا به فلم يلتفت واجتهدوا في خطابه فلزم لهم هذا الصمت والعمل. فزاد محلّه عندهم حتّى إنّهم كانوا إذا خرج للطهور جاءوا إلى موضعه فيتمسّحون به ويأخذون التراب من موضع مشيه ويحملون إليه المرضى فيمسح بيده عليهم.

فلمّا رأى أنّ منزلته قد بلغت إلى ذلك وكان قد مضى على هذا الفعل سنة اجتمع في الميضأة مع امرأته، وقال: إذا كان يوم الجمعة كما تصلّي الناس فتعالي فاعلقي بي والطمي وجهي وقولي لي: يا عدوّ الله يا فاسق قتلت ابني ببغداد وهربت إلى هاهنا وجئت تتعبّد وعبادتك مضروب بها وجهك، ولا تفارقيني وأظهري أنّك تريدين قتلي بابنك فإنّ الناس يجتمعون عليك وأمنعهم أنا من أذيّتك وأعترف بأنّي قتلته وتبت وجئت إلى هاهنا للعبادة والتوبة والندم على ما كان منّي، فاطلبي قَودي بإقراري وحملي إلى السلطان فسيعرضون لك الدية فلا تقبليها أو يبذلوا لك عشر ديات أو ما استوى لك بحسب ما ترين من زيادتهم وحرصهم، فإذا تناهت عطيّتهم في افتدائي إلى حدّ يقع لك أنّهم لا يزيدون بعده شيئا فاقبلي الفداء منهم واجمعي المال وخذيه واخرجي من يومك عن البلد إلى طريق بغداد فإنّي سأهرب وأتبعك.

فلمّا كان من الغد جاءت المرأة فلمّا رأته فعلت به ما قال لها ولطمته وقالت المقالة التي علّمها. فقام أهل البلد ليقتلوها وقالوا: يا عدوّة الله، هذا من الأبدال هذا من قوّام العالم هذا قطب الوقت هذا صاحب الزمان هذا هذا.

فأومأ إليهم أن اصبروا ولا تنالوها بسوء فصبروا وأوجز صلاته ثم سلّم وتمرّغ في الأرض طويلاً. ثمّ قال للناس: هل سمعتم لي كلمة منذ أقمت فيكم؟

فاستبشروا لسماع كلامه وارتفعت صيحة عظيمة وقالوا: لا.

قال: فإنّي إنّما أقمت عندكم تائبًا ممّا ذكرته وقد كنت رجلا في زيغ وخسارة فقتلت ابن هذه المرأة وتبت وجئت إلى هاهنا للعبادة وكنت محدّثا نفسي بالرجوع إليها وطلبتها لتقيّدني خوفا من أن لا تكون توبتي قد صحّت وما زلت أدعو الله تعالى أن يقبل توبتي ويمكّنها منّي إلى أن أُجيبت دعوتي وقبل الله توبتي لمّا جمعني وإيّاها ومكّنها من قودي فدعوها تقتلني وأستودعكم الله تعالى.

قال: فارتفعت الصيحة والبكاء.

وقال له هذا: يا عبد الله ادع لي.

وقال له هذا: ادع لي.

وأقبلت المرأة بين يديه وهو مارّ إلى والي البلد وهو يمشي على تأنّ ورفق ليخرج من الجامع إلى دار الأمير فيقتله بابنها.

فقال الشيوخ: يا قوم لم ضللتم عن مداواة هذه المحنة وحراسة بلدكم بهذا العبد الصالح؟ فارفقوا بالمرأة، وسلوها قبول الدية، ونجعلها من أموالنا.

فأطافوا بها، وسألوها فقالت: لا أفعل.

قالوا: خذي ديتين.

فقالت: شعرة من ابني بألف دية.

فما زالوا حتّى بلغوا عشر ديات.

فقالت: اجمعوا المال فإذا رأيته إن طاب قلبي بقبوله والعفو عن الدم فعلت وإلّا قتلت القاتل.

فقالوا: نعم.

فقال الرجل: قومي عافاك الله وردّيني إلى موضعي من الجامع.

قالت: لا أفعل.

قال: فذاك إليك.

فما زالوا يجمعون إلى أن جمعوا مائة ألف درهم فقالوا: خذيها.

قالت: لا أريد إلّا قتل قاتل ابني فهو آثر في نفسي.

فأقبل الناس يرمون بثيابهم وأرديتهم وخواتيمهم والنساء بحليهنّ والرجال

كلّ يرمي بشيء من متاعه ومن لم يتحمّل من ذلك الفداء كان في أمر عظيم وكأنّه قد خرج من الدنيا.

فأخذته وأبرأته من الدم وانصرفت.

فأقام الرجل في الجامع أيّاما يسيرة حتّى علم أنها قد بعدت ثمّ هرب في بعض الليالي وطُلب من غد فلم يوجد ولا عُرف له خبر حتّى انكشف لهم أنّها حيلة عملها بعد مدّة طويلة.

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٢/٣٥١-٣٥٥.



الأشتر وجيداء

أخبرني أبو الفرج عليّ بن الحسين المعروف بالأصبهاني قال حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني أبو العيناء قال: كنت أجالس محمّد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب سلام الله عليهم أجمعين، وكان قد حُمل إلى المتوكّل أسيرًا فحبسه مدّة ثمّ أطلقه المتوكّل وكان أعرابيًّا فصيحًا فحدّثني يومًا قال: حدّثني نمير بن مخلف الهلالي وكان حسن الوجه جدًّا قال: كان منّا فتى يُقال له بشر بن عبد الله ويُعرف بالأشتر وكان يهوى جارية من قومه يُقال لها جيداء وكانت ذات زوج. وشاع خبره في حبّها فمُنع منها وضُيّق عليه حتّى لم يقدر أن يلمّ بها. فجاءني ذات يوم وقال: يا أخي قد بلغ منّي الوجد وضاق عليّ سبيل الصبر فهل تساعدني على زيارتها؟

قلت: نعم فركبت وسرنا حتّى نزلنا قريبًا من حيّها فكمن في موضع.

فقال لي: اذهب إلى القوم فكن ضيفًا لهم ولا تذكر شيئا من أمرنا حتّى ترى راعية لجيداء صفتها كذا وكذا فأعلمها خبري وواعدها بوعد.

فمضيت وفعلت ما أمرني به ولقيت الراعية فخاطبتها فمضت إلى جيداء وعادت إليّ فقالت: قل له موعدك اللّيلة عند الشجيرات.

فلمّا كان الوقت الذي وعدتنا فيه إذا بجيداء قد أقبلت فوثب الأشتر إليها فقبل بين عينيها. فقمت مولّيًا عنهما فقالا: نقسم عليك إلّا ما رجعت فوالله ما بيننا ما نستره عنك فرجعت وجلسنا نتحدّث.

فقال لها: يا جيداء، أما فيك حيلة لنتعلّل الليلة؟

فقالت: لا والله، إلّا أن نعود إلى ما تعرف من البلاء والشدّة.



فقالت: هل في صاحبك هذا من خير؟

فقلت: إي والله.

فخلعت ثيابها ودفعتها إليّ وقالت: البسها وأعطني ثيابك، ففعلت.

فقالت: اذهب إلى بيتي فإنّ زوجي سيأتيك بعد العتمة ويطلب منك القدح ليحلب فيه الإبل فلا تدفعه إليه من يدك فهذا فعلي به ودعه بين يديه فإنّه سيذهب ويحلب ثمّ يأتيك به ملآن لبنًا ويقول: هاك غبوقك، فلا تأخذه منه حتّى تطيل نكدك عليه ثمّ خذه أو دعه حتّى يضعه هو ثمّ لست تراه حتّى تصبح.

قال: فذهبت وفعلت ما أمرتني به وجاءني بالقدح فلم آخذه منه وأطلت عليه النكد ثمّ أهويت لآخذه، وأهوى ليضعه فاختلفت أيدينا فانكفأ القدح.

فقال: إنّ هذا لطمّاح مفرط، وضرب بيده إلى سوطه ثمّ تناولني به وضرب ظهري فجاءت أمّه وأخته فانتزعوني من يده بعد أن زال عقلي وهممت أن أجأه بالسكّين.

فلمّا خرجوا من عندي لم ألبث إلّا يسيرًا حتّى دخلت أمّ جيداء تؤنّبني وتكلّمني فلزمت الصمت والبكاء.

فقالت: يا بنيّة اتّقي الله وأطيعي بعلك وأمّا الأشتر فلا سبيل لك إليه وها أنا أبعث إليك بأختك لتؤنسك ومضت.

ثمّ بعثت إليّ بالجارية فجعلت تكلّمني وتدعو على من ضربني وأنا ساكت ثمّ اضطجعت إلى جانبي، فشددت يدي على فمها وقلت: يا جارية، إنّ أختك مع الأشتر وقد قُطع ظهري بسببها وأنت أولى بسترها منّي وإن تكلّمت بكلمة فضحتها وأنا لست أبالي.

فاهتزّت مثل القضيب فزعًا فطمّنتها وطيّبت قلبها فضحكت وبات معي منها أظرف الناس ولم نزل نتحدّث حتّى برق الصبح فخرجت وجئت إلى صاحبي.

فقالت جيداء: ما الخبر؟

فقلت: سلي أختك عن الخبر فلعمري إنّها عالمة به ودفعت إليها ثيابها وأريتها ظهري فجزعت وبكت ومضت مسرعة وجعل الأشتر يبكي وأنا أحدّثه بقصّتي وارتحلنا.



الفرج بعد الشدّة، ٤/٣٥٤-٣٥٧.

أجار حيّة فأرادت قتله
فخلصه جميل صنعه

ويروى أنّ حيّة استجارت برجل من العبّاد

من رجل يريد قتلها، قال فرفع ذيله وقال:

ادخلي، فتطوّقت على بطنه.

وجاء رجل بسيف وقال له: يا رجل، حيّة هربت منّي الساعة أردت قتلها فهل رأيتها؟

قال: ما أرى شيئًا.

فلمّا أجارها وانصرف من يريد قتلها قالت له الحيّة: لا بدّ من قتلك.

فقال لها الرجل: ليس غنى عن هذا؟

قالت: لا.

قال: فأمهليني حتّى آتي سفح جبل فأصلّي ركعتين وأدعو الله تعالى وأحفر لنفسي قبرًا فإذا نزلته فافعلي ما بدا لك.

قالت: افعل.

فلمّا صلّى ودعا أوحى الله إليه: إنّي قد رحمتك فاقبض على الحيّة فإنّها تموت في يدك ولا تضرّك.

ففعل ذلك وعاد إلى موضعه وتشاغل بعبادة ربّه.

وروى هذا الخبر جعفر العابد برامهرمز على غير هذه السّياقة إلّا أن المعنى متقارب فأوردت ما بلغني من ذلك، فقال: قرأت في كتب الأوائل أنّ حيّة أفلتت من يد طالب لها ليقتلها وأنّها سألت الرجل أن يخبّأها فخبّأها في فمه وأنكرها للطالب لها.

وحدّثني عبد الله بن الحارث بن السراج الواسطيّ قال: حدّثني بعض أصحاب أبي محمّد سهل بن عبد الله التستري عنه قال: كان في بني إسرائيل رجل في صحراء قريبة من جبل يعبد الله تعالى، إذ مثلت له حيّة فقالت له: قد أرهقني من يريد قتلي فأجرني أجارك الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه.

قال لها: وممّن أجيرك؟



أجار حيّة فأرادت قتله فخلصه جميل صنعه

قالت: من عدوّ يريد قتلي.

قال: وممّن أنت؟

قالت: من أهل لا إله إلّا الله.

قال: فأين أخبّيك؟

قالت: في جوفك، إن كنت تريد المعروف.

ففتح فاه، وقال: ادخلي، ففعلت.

فلمّا جاء الطالب قال له: رأيت حيّة تسعى؟

فقال العابد: ما أرى شيئًا، وصدق في ذلك.

فقال له الطالب: الله.

فقال: الله.

فتركه ومضى ثمّ قال لها: اخرجي الآن.

فقالت: إنّي من قوم لا يكافئون على الجميل إلّا بقبيح.

ثمّ ساق الحديث على قريب ممّا تقدم.

ووقع إليّ الخبر بقريب من هذا المعنى، على خلاف هذه السّياقة:

قُرئ على أبي العبّاس الأثرم المقرئ البغدادي وهو محمّد بن أحمد بن حمّاد بن إبراهيم بن ثعلب في منزله بالبصرة في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وأنا حاضر أسمع: حدّثكم عليّ بن حرب الطائي الموصلي قال: حدّثنا جعفر بن المنذر الطائي العابد بمهروبان قال: كنت عند سفيان بن عيينة فالتفت إلى شيخ حاضر فقال له: حدّث القوم بحديث الحيّة.

فقال الرجل: حدّثني عبد الجبّار أنّ حميد بن عبد الله خرج إلى متعبّده فمثلت بين يديه حيّة وقالت له: أجرني أجارك الله في ظلّه.

قال: وممّن أجيرك؟

قالت: من عدو يريد قتلي.

قال: فأين أخبّئك؟

قالت: في جوفك.

ففتح فاه فما استقرّت حتّى وافاه رجل بسيف مجرّد فقال له: يا حميد أين الحيّة؟

قال: ما أرى شيئا.

فذهب الرجل، فأطلعت الحيّة رأسها وقالت: يا حميد أتحسّ الرجل؟

فقال: لا، قد ذهب، فاخرجي.

قالت: اختر منّي إحدى خصلتين، إمّا أن أنكتك فأقتلك، أو أفرث كبدك فترميه من دبرك قطعا.

فقال: والله، ما كافيتني.

فقالت: قد عرفت العداوة التي بيني وبين أبيك آدم قديمًا، وليس معي مال فأعطيك ولا دابّة فأحملك عليها.

فقال: أمهليني حتّى آتي سفح الجبل وأحفر لنفسي قبرًا.

قالت له: افعل.

فبينا هو يسير إذ لقيه فتى حسن الوجه طيّب الريح حسن الثياب فقال له: يا شيخ، ما لي أراك مستسلما للموت آيسًا من الحياة؟ قال: من عدوّ في جوفي يريد هلاكي.

فاستخرج من كمّه شيئا فدفعه إليه وقال: كله.

قال: ففعلت ذلك فوجدت مغصًا شديدًا ثمّ ناولني شيئًا آخر فإذا بالحيّة سقطت من جوفي قطعًا.

فقلت له: من أنت يرحمك الله؟ فما أحد أعظم عليّ منّة منك.

فقال: أنا المعروف، إن أهل السّماء رأوا غدر هذه الحيّة بك فسألوا الله عزّ وجلّ أن يعيذك، فقال لي الله تعالى: يا معروف أدرك عبدي فإيّاي أراد بما صنع.

الفرج بعد الشدّة، ١/١٩٨–٢٠١.



أهدر عبد الملك دمه فدعا فأمّنه وأحسن إليه

بلغني أنّه جنى رجل جناية على عهد عبد الملك بن مروان فأهدر دمه ودم من يؤويه وأمر بطلبه فتحاماه الناس كلهم. فكان يسيح في الجبال والبراري ولا يذكر اسمه فيضاف اليوم واليومين فإذا عُرف طُرد ولم يُدع أن يستقرّ.

قال الرجل: فكنت أسيح يومًا في بطن واد فإذا بشيخ أبيض الرأس واللحية عليه ثياب بياض وهو قائم يصلّي فقمت إلى جنبه.

فلمّا سلم انفتل إليّ وقال لي: من أنت؟

قلت: رجل أخافني السلطان وقد تحاماني الناس فلم يجرني أحد من خلق الله تعالى، فأنا أسيح في هذه البراري خائفًا على نفسي.

قال: فأين أنت عن السبع؟

قلت: وأيّ سبع؟

قال: تقول سبحان الله الإله الواحد الذي ليس غيره أحد سبحان الدائم الذي ليس يعاد له شيء سبحان الدائم القديم الذي لا ندّ له ولا عديل سبحان الذي يحيي ويميت سبحان الذي هو كلّ يوم في شأن سبحان الذي خلق ما يرى وما لا يرى سبحان الذي علم كلّ شيء بغير تعليم اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ هذه الكلمات وحرمتهنّ أن تفعل بي كذا وكذا، وأعادهن عليّ فحفظتهن.

قال الرجل: وفقدت صاحبي فألقى الله تعالى الأمن في قلبي وخرجت من وقتي متوجّهًا إلى عبد الملك فوقفت ببابه واستأذنت عليه فلمّا دخلت عليه قال: أتعلّمت السحر؟

قلت: لا يا أمير المؤمنين ولكن كان من شأني كذا وكذا وقصصت عليه القصّة فأمّنني وأحسن إليّ.

الفرج بعد الشدّة، ١/٢٠٢-٢٠٣.



بين الإسكندر وملك الصين

حدّثني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني إملاءً من حفظه قال: قرأت في بعض الأخبار للأوائل أنّ الإسكندر لمّا انتهى إلى الصين وحاصر ملكها أتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره فقال له: هذا رسول ملك الصين بالباب يستأذن عليك.

فقال: أدخله.

فوقف بين يدي الإسكندر وسلّم وقال: إن رأى الملك أن يخلّيني فعل.

فأمر الإسكندر من بحضرته بالانصراف وبقي حاجبه فقال: إنّ الذي جئت له لا يحتمل أن يسمعه غيرك.

فقال: فتّشوه ففتّش فلم يوجد معه شيء من السلاح.

فوضع الإسكندر بين يديه سيفًا مسلولاً وأخرج حاجبه وكلّ من كان عنده وقال له: قف بمكانك وقل ما شئت.

فقال له: إنّي أنا ملك الصين لا رسوله وقد جئت أسألك عمّا تريده فإن كان ممّا يمكن الانقياد إليه ولو على أشقّ الوجوه قبلته وغنيت أنا وأنت عن الحرب.

قال الإسكندر: وما آمَنك منيّ؟

قال: علمي بأنّك رجل عاقل وليس بيننا عداوة ولا مطالبة بذحل وأنت تعلم أنّك إن قتلتني لم يكن ذلك سببًا لأن يسلم إليك أهل الصين ملكهم ولم يمنعهم قتلي من أن ينصبوا لأنفسهم ملكًا غيري ثمّ تنسب أنت إلى غير الجميل وضدّ الحزم.

فأطرق الإسكندر وعلم أنّه رجل عاقل فقال: الذي أريده منك ارتفاع مملكتك لثلاث سنين عاجلاً ونصف ارتفاعها في كلّ سنة.

قال: هل غير ذلك شيء؟

قال: لا.

قال: قد أجبتك.

قال: فيكف يكون حالك حينئذ؟

قال: أكون قتيل أوّل محارب وأكلة أوّل مفترس.

قال: فإن قنعت منك بارتفاع ثلاث سنين كيف يكون حالك؟

قال: أصلح ممّا كانت وأفسح مدّة.

قال: فإن قنعت منك بارتفاع سنة؟

قال: يكون ذلك كمالاً لأمر ملكي وموفيًا لجميع لذّاتي.

قال: فإن اقتصرت منك على ارتفاع السدس؟

قال: يكون السدس موفّرًا ويكون الباقي للجيش ولسائر الأسباب.

قال: قد اقتصرت منك على هذا فشكره وانصرف.

فلمّا طلعت الشّمس أقبل جيش ملك الصين حتّى طبّق الأرض وأحاط بجيش الإسكندر حتّى خافوا الهلاك وتواثب أصحابه فركبوا واستعدّوا للحرب. فبينما هم كذلك إذ طلع ملك الصين وعليه التاج وهو راكب فلمّا رأى الإسكندر ترجّل.

فقال له الإسكندر: غدرت؟

قال: لا والله.

قال: فما هذا الجيش؟

قال: إنّي أردت أن أريك أنّي لم أطعك من قلّة ولا من ضعف وأنت ترى هذا الجيش وما غاب عنك منه أكثر ولكنّي رأيت العالم الأكبر مقبلاً عليك ممكّنا لك ممّن هو أقوى منك وأكثر عدداً ومن حارب العالم الأكبر غَلب فأردتُ طاعتَه بطاعتك والذلّة لأمره بالذلّة لك.

فقال الإسكندر: ليس مثلك من يُؤخذ منه شيء فما رأيت بيني وبينك أحداً يستحقّ التفضيل والوصف بالعقل، غيرك وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك.

فقال ملك الصين: أمّا إذ فعلت ذلك فلستَ تخسر.

فلمّا انصرف الإسكندر أتبعه ملك الصين من الهدايا بضعف ما كان قرّره معه.

الفرج بعد الشدّة، ٢/٣٤٠–٣٤٢.



ليلى والمجنون

أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت: أنبأنا أبو محمّد بن السرّاج قالا أنبأنا عليّ بن المحسّن التنوخي قال: حدّثني رجل من بني عامر يُقال له رباح بن حبيب قال: كان في بني عامر جارية من أجمل النساء لها عقل وأدب يُقال لها ليلى بنت مهدي. فبلغ المجنون خبرها وما هي عليه من الجمال والعقل وكان صبًّا بمحادثة النساء فعمد إلى أحسن ثيابه فلبسها وتهيّأ فلمّا جلس إليها وتحدّث بين يديها أعجبته ووقعت بقلبه فظلّ يومه ذاك يحدّثها وتحدّثه حتّى أمسى فانصرف إلى أهله فبات بأطول ليلة حتّى إذا أصبح مضى إليها فلم يزل عندها حتّى أمسى ثمّ انصرف فبات بأطول من ليلته الأولى وجهد أن يغمض فلم يقدر على ذلك فأنشأ يقول:

نهاري نهار الناس حتّى إذا بدا لي ... الليل هزّتني إليك المضاجعُ
أقضّي نهاري بالحديث وبالمنى ... ويجمعني والهمّ بالليل جامعُ

وأدام زيارتها وترك إتيان كلّ من كان يأتيه فوقع في قلبها مثل الذي وقع في قلبه، فجاء يوما يحدّثها فجعلت تعرض عنه وتقبل على غيره تريد أن تمتحنه وتعلم ما في قلبه، فلمّا رأى ذلك منها اشتدّ عليه وخرج فلمّا خافت عليه أقبلت عليه فقالت:

كلانا مظهرٌ للناس بغضًا   وكلّ عند صاحبه مكينُ

فسرّي عنه عند ذلك.

فقالت: إنّما أردت أن أمتحنك والذي لك عندي أكثر من الذي لي عندك وأنا معطية الله عهدًا إن أنا جالست بعد يومي هذا رجلاً سواك حتّى أذوق الموت إلّا أن أُكره على ذلك.

فانصرف وهو أسرّ الناس فأنشأ يقول:

أظنّ هواها تاركي بمضلّة من   الأرض لا مال لديّ ولا أهلُ
ولا أحدٌ أفضي إليه وصيّتي   ولا وارثٌ إلّا المطيّة والرحلُ
محا حبُّها حبّ الأولي كنّ قبلها   وحلّت مكانًا لم يكن حُلَّ من قبلُ

ذمّ الهوى، ٣٨١.

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٥/١٠٢-١٠٣.



كيف يمكن أن نتفاعل مع قصص كُتبت قبل ألف عام؟ كيف يمكن إعادة صياغة الأسئلة الجماليّة والأدائيّة في النصوص الأدبية بصريًّا؟ هذا ما نقدمه في حياكة الكلام: اللهفة والصدفة والخيال.

اخترنا لهذه المجموعة قصصًا نكسر من خلالها الاتّكاء المعتاد على الحبكة والشخصيّات، ونسلّط من خلالها الضوء على العلاقات المتنوّعة والإمكانات الإبداعية التي توحي بها هذه القصص. ففي المحور الأوّل، اخترنا قصصًا عن الترحال تقدّم حالات من الكشف والوعد والتنقّل بين عوالم البلاغة وجغرافيّة المتخيّل. وفي المحور الثاني، انتقينا قصصًا تدعونا لنقطنها، تأسرنا فيها عناصر سرديّة تتجسّد في مفاهيم ماديّة، كالصوت والحجر والقدر. أمّا في المحور الثالث فقد جمعنا نصوصًا تتبنّى الشخصيات فيها أشكالاً وأقنعة متغيّرة. في هذا الكتاب، نقدّم قطعة من تراثنا الأدبيّ الغنيّ الذي نأمل أن يبقى في إطار وعينا الثقافي وجزءًا من هويّتنا المعرفيّة.

يفتتح هذا الكتاب سلسلةَ المكتبة العربية للناشئة، وهي مبادرة من المكتبةُ العربية التابعة لمعهد جامعة نيويورك أبوظبي، في سياق اهتمامها بتقديم الأدب العربي للناشئة والقارئ المعاصر عمومًا. تتبنّى هذه السلسة مقاربة المكتبة العربية لإحياء التراث واستعادته بأجناسه وثيماته المتنوّعة والمختلفة من منظور تفاعلي يتيح الاحتفال بقراءة التراث كفرصة حيويّة للدخول في التجريب والابتكار على المستويَين الشخصي والمعرفي.



المكتبة العربية





